2011

الإعلام بين المهنية والسياسة

تداعيات مباريات مصر والجزائر

ملف أعمال ندوة الإعلام بين المهنية والسياسية

Arab Forum for Alternatives Studies (AFA)
منتدي البدائل العربي للدراسات

عن الندوة:

أثارت مباراة كرة قدم بين فريقي مصر والجزائر التي جرت في شهر نوفمبر الماضي تداعيات نفسية وسياسية عميقة بين الشعبين، أدت إلي توتر العلاقات بينهما، ووصل التلاسن بين إعلام البلدين إلي درجة غير مسبوقة من الإهانات والشتائم. والسؤال، ما الذي جعل مباراة كرة قدم مهما كانت أهميتها أو الحساسية المصاحبة لها تثير كل هذه الأزمات؟ وكيف نجحت التعبئة الإعلامية بكل هذه السهولة في حشد جماهير مليونية في مصر والجزائر وحولت حب الكرة والتشجيع المشروع لكل فريق إلي ميدان للحرب والعراك بين الشعبين؟ من المؤكد أن هناك أسبابا سياسية واجتماعية ساعدت على تحول مباراة كرة قدم إلي ساحة للحرب والقتل المعنوي بين الشعبين، لكن من المؤكد أيضا أن هناك مسئولية كبيرة تقع على إعلام البلدين، وحان وقت مناقشتها لمعرفة الأخطاء المهنية الجسيمة التي صاحبت تغطية الإعلام لأحداث هذه المباراة.

والمفارقة أن كثيرا من هذه الأخطاء جاء من الإعلام الرياضي المصري الذي تبثه قنوات فضائية خاصة يفترض أنها أكثر تحررا من قيود الإعلام الحكومي، ومع ذلك كانت أخطاؤها جسيمة، وهو الأمر الذي يعيد طرح السؤال حول القواعد المهنية التي تحكم الإعلام الخاص في مصر والعالم العربي، وما مشكلاته وكيف يمكن تطوير أدائه المهني دون أن يفقد استقلاله النسبي عن الحكومة؟

وقد حاولت هذه الندوة التي أقيمت بفندق فلامنكو بالقاهرة في 14 فبراير 2010 أن تناقش أسباب ما جرى في مباراة مصر والجزائر، ومسئولية الإعلام عن الأحداث التي صاحبتها وكيفية معالجة الأخطاء الكثيرة التي حدثت، و يتضمن هذا الملف ثلاث أوراق قدمت خلال الندوة الأولى للدكتور عمرو الشوبكي حول الأبعاد السياسية و الاجتماعية للأزمة، و الثانية للأستاذ حسن المستكاوي وتتناول أزمة الإعلام الرياضي العربي والثالثة للأستاذ ياسين تملالي، وهي قراءة للمشهد السياسي والإعلامي الجزائري. ثم تقريران للجلسة الثانية والثالثة من الندوة، واللتان تناولتا دور الإعلام في الأزمة وشهادات ورؤى عن ذلك.

برنامج الندوة

جلسة افتتاحية

د. عمرو الشوبكي رئيس منتدى البدائل العربي

د. راسموس أليبيوس مدير المعهد الدانمركي المصري للحوار

الجلسة الأولى : الأبعاد السياسية والإعلامية للأزمة

رئيس الجلسة أ.محمود قنديل– محامي بالنقض وخبير حقوقي وعضو المجلس الاستشاري لمنتدى البدائل.

د. عمرو الشوبكي– رئيس منتدى البدائل العربي: مصر والجزائر بين السياسة والرياضة.

أ. حسن المستكاوي– عضو مجلس تحرير جريدة الشروق وناقد رياضي: أزمة الإعلام الرياضي في العالم العربي.

الجلسة الثانية: الإعلام وأزمة مباراة مصر والجزائر.

رئيس الجلسة: أ.حسين عبد الغني– مدير مكتب قناة الجزيرة بالقاهرة.

أ. ياسين تملالي– باحث وكاتب جزائري: قراءة في المشهد السياسي والإعلامي الجزائري.

أ. حافظ الميرازي– مدير مركز أدهم للصحافة التليفزيونية بالجامعة الأمريكية في القاهرة: نحو إعلام مهني ومستقل.

الجلسة الثالثة: شهادات ورؤى

رئيس الجلسة محمد العجاتي المدير التنفيذي لمنتدى البدائل العربي

أ. هشام إسماعيل– رجل أعمال مصري بالجزائر.

أ. سليمى رحال– شاعرة جزائرية مقيمة بمصر.

أ. عمرو مجدي– مدون مصري وصاحب مبادرة المصالحة المصرية الجزائرية على مدونته

المعالجة الإعلامية بين السياسة والرياضة

د. عمرو الشوبكي **رئيس منتدى البدائل العربي للدراسات**

تحاول هذه الورقة الإجابة على تساؤل : هل هناك في تاريخ العلاقات المصرية الجزائري ذات طابع سياسي أو اجتماعي ساهمت فيما شاهدناه من أداء إعلامي سيء، ومن معالجة بها قدر كبير من الانحياز والإساءة للطرف الآخر، أم أن القضية بالكامل غياب للمهنية وإعمال قواعدها في مجال الإعلام بشكل عام، والإعلام الرياضي بشكل خاص.

أولا على الجانب السياسي والاجتماعي:

لا توجد مشكلة في أن يكون هناك طباع أو مزاج اجتماعي واعتبارات ثقافية تميز بين بلدين، ولكن بشكل أكثر تحديدا بين مصر والجزائر، فالناس فالمصريون يتكلمون عن حدة في الطبع الجزائري والجزائريون يتحدثون بذلك أيضا. وعلى الجانب السياسي، التواصل المصري الجزائري الذي بدأ في الستينيات بدعم النظام المصري لثورة الجزائر وعادت الجزائر في 67، 73 فقدمت دعما وشهداء، وبالتالي وفي ظل الأوضاع العربية، فنحن أمام تراث إيجابي يمكن البناء عليه بشكل صحي، ولكن للأسف نحن نشهد في المنطقة العربية معكوس خبرات شهدتها كثير من البلاد، والقصد هنا أن ذلك التراث الإيجابي تحول إلى مادة للمعايرة المتبادلة، وفي الحقيقة الجانب المصري دائما ما يكون سباقا في هذه المسألة، فليس خافيا وجود دور مصري مركزي في الأربعينات والخمسينات والستينات وحتى في الثلاثينات، ولم يكن ذلك الدور مبنيا فقط على مشروع سياسي، ولكن أيضا على دور مركزي بالمعنى الثقافي، ثم تراجع هذا الدور بدرجة كبيرة، وبالتالي أصبح هناك ميل لاجترار الماضي، فمن الصعب أن تجد أي بلد أخرى تردد مقولات إننا منذ ستين أو سبعين سنة قد أنجزنا أعمالا عظيمة أو قدمنا تضحيات كبيرة، إلا أننا لم نفعل خلال الـ 30 سنة الأخيرة شيئا نفتخر به لنظل أسرى اجترار الماضي . ويطرح ذلك علامة استفهام حقيقية عن أزمة وتراث هذه العلاقة، حين غزت القوات الأمريكية العراق 2003 ، حدثت ملاسنات شديدة الحدة بين ا"لأمريكان والفرنسيين، ونحن نعرف بوجود موقف فرنسي ألماني رافض لدعم الغزو الأمريكي للعراق، وقد خرجت من كلا الطرفين بعض العبارات الطائشة تتحدث عن الدعم الأمريكي والأنجلو سكسوني لفرنسا في تحريرها من الاحتلال النازي، ولكنها لم تحدث من قبل بينهم في مباراة كرة قدم، رغم اشتداد المنافسة بين كثير

من البلدان الأوروبية في تلك المباريات، ولا نراه يحدث إلا في الدول التي تجد فيها كرة القدم تأخذ حيزا كبيرا لتمثل قضية من قضايا الإنجاز الوطني والخدمة الوطنية، وكأن من سيفوز في مباراة كرة قدم سينتقل إلى مصاف الدول المتقدمة وسيعم الرخاء في بلده، وبالتالي نحن أمام مشكلة، فبالنظر إلى الخبرة المصرية الجزائرية سنجد أن لدينا تراثا سياسيا من الدعم والاعتماد المتبادل، ولكن تم إهدار ذلك التراث بصورة نادرة لصالح خطاب يحمل قدرا كبيرا من المعايرة والمنّ، وبالتالي نحن أمام تراث يصلح كأساس لعلاقة صحية، والعلاقة الصحية لا تلغي إطلاقا المنافسة في أي مجال، بل من الوارد وجود حساسيات من الجانبين في المجال الرياضي، لكن يفترض في ذلك التراث أو الوعاء التاريخي في المساعدة على تهدئة وعقلانية وترشيد هذا النوع من المنافسة، ولكن ما حدث هو على النقيض تماما، فبدلا من أن يكون عنصر تهدئة ودعم للعقلانية، تحول إلى أداة للمعايرة والانتقادات المتبادلة، ورأينا بأنها تعكس حالة من حالات الإفلاس السياسي في كلا البلدين، فعندما تم اجترار لإنجازات الماضي بشكل مستمر، والإفراط في التغني بإنجازات الماضي، فمعناه أننا نعاني من أزمة في الحاضر ولم نتعلم ونكتسب خبرة معنى الاعتماد المتبادل وصنع تاريخ مشترك ومستقبل مشترك.

أزمة إقليمية أم أزمة محلية؟

هناك فروقات في المزاج العام، وفي تنوع الخبرات، فمثلا هناك تنوع في الخبرات السياسية المصرية التي تجعل جزءً من الناس في مصر يختلفون مثلا مع تجربة عبد الناصر وتجربة التحرر في مصر، ويجد بديلا في تجربة الوفد في الثلاثينات والأربعينات، أو يجد البديل في رؤية الرئيس السادات. لكن في الجزائر المعاصرة الخبرة قائمة على خبرة حرب التحرير الشعبية، وعلى قدرة هذا الشعب في تحرير البلاد ودفع الثمن بمليون شهيد، وبالتالي أي مساس ولو من بعيد بهذه القيمة الأساسية التي انبنى عليها مشروع الدولة الجزائرية، يكون وقعه أصعب بكثير من وقعه في مصر لانتقادات توجه إلى زعيم معين أو قيادة معينة.

فإذا كانت هذه الفروقات موجودة فإنها لا تبرر بأي حال ما شاهدناه في الإعلام، فربما يكون واردا أن تم توظيف السياسة بشكل سلبي على عكس ما هو مطلوب، فالطبيعي أن التفاعل الذي حدث بين البلدين يجعل ما يبنى بعد ذلك إيجابيا، فما حصل أن تم تحويل ما هو إيجابي إلى سلبي وهي عبقرية عربية نادرة الوجود، في أن الشعوب في أوروبا دخلوا حروبا ذهب ضحيتها ملايين من الناس، رغم ذلك استطاعوا عمل توافق وبناء مشروع جديد، أما

نحن فعندنا تراث مختلف، خضنا معارك التحرر الوطني بشكل متقارب وفي النهاية استطعنا تحويل هذا التراث المشترك إلى خطاب للمعايرة المتبادلة.

على الجانب الآخر تم استدعاء خطاب القومية العربية في كلا البلدين، فاعتبر ما جرى بين مصر والجزائر نهاية للقومية العربية، وأقحمنا القومية العربية في أزمة تعكس في الحقيقة فشلا وطنيا محليا ليس لها علاقة بفكرة الوحدة العربية أو القومية العربية تماما، والموضوع ببساطة شديدة أننا أمام فشل محلي في إدارة لمباراة كرة قدم بشكل يكون فيه الإعلام مهنيا يحترم قواعد المهنية، وربما يسيء إلى بعض المشجعين في ظل أجواء المنافسة، وأن تحدث حالات تعصب هنا وهناك داخل المباراة أو بين المشجعين، ولكن الخلل أو المصيبة أن يمتد ذلك لجموع الناس، وبالتالي كان هنا مصدر الكارثة، وفي رأيي أن مفهوم البعض عن القومية العربية مفهوم أيديولوجي ليس له ارتباط بالواقع، وأن مفهوم العروبة له اعتبار الجيرة دون أي اعتبارات ثقافية أخرى، فجيراننا في ليبيا والسودان والجزائر ليس لهم علاقة بمفهوم أيديولوجي ضيق يمكن من خلاله تصور هندسة الكون أو عمل وحدة عربية بالقوة، فالعروبة اختيار طوعي وليس إجباريا، فنحن نتكلم عن منظومة شعوب متقاربة بالمعنى الثقافي، وهناك مجموعة من القضايا أرادت تفعيل العروبة لصالح مجتمعاتنا في الداخل، فهذا جيد، أما إذا لم ترض فهو اختيارك أولا وأخيرا، وقم بالتعامل مع بلد كالجزائر كتعاملك مع أي بلد آخر أوروبي أو غيره، والعكس. وبالتالي فإقحام العروبة لنخفي به الفشل الداخلي فليس له محل في هذه القضية.

أيضا قضية تسييس الأزمة، وذلك بإدخال قضية التطبيع وكامب ديفيد في الموضوع واتهام مصر بذلك، وكأن الجزائر دولة ممانعة حقيقية، وكأنها البديل الذي يقوم بتجهيز الجيوش لتحرير الجولان مع سوريا، أيضا المشكلة في مصر بأنها صارت دولة ممانعة، ولكنها دولة اعتدال لم تنجز شيئا على الورق ولم تقم بواجبها وفروضها المنزلية في الديمقراطية والإصلاح السياسي والاقتصادي والتنمية، وذلك ما قيل عند التوقيع على كامب ديفيد بأنها ستنجزه في الثلاثين سنة القادمة، وأننا نغلق ملف الحرب للتركيز على بناء الإنسان المصري والرخاء والتنمية والديمقراطية وذلك ما لم يتم، ولا الآخرون دول ممانعة حقيقية، ووارد أنها ستحارب إسرائيل وأنها دول راديكالية، فالمشروع الراديكالي الوحيد في المنطقة لاعتبارات ذاتية هو المشروع الإيراني.

وفي تقديري أن العالم العربي يعاني أزمة أداء وليس أزمة خيارات سياسية، وأن هذا معتدل وهذا ممانع، فكلاهما فاشل بدرجة أو بأخرى، وربما جميعنا قمنا بإحالات بدرجة أو أخرى لتجربة دولة كتركيا التي في النهاية دولة في الناتو ودولة لها علاقات مع إسرائيل، ورغم ذلك نرى أداءها المتميز وتأثيرها الفعال في المنطقة العربية.

الخاتمة:

طبيعة التنوع وخلاف الخبرات والثقافات الموجودة بين البلدين، لا تبرر ولا تفسر حالة الانهيار في الأداء المهني والإعلامي خلال الأزمة. وعندما ننظر لبعض الشعوب الأوربية ذات التكوين الثقافي والعادات المختلفة مثل الإنجليز والفرنسيين وما يجمعهم من حساسيات، وربما نتذكر ما حدث في الثمانينات في إحدى المباريات بين بريطانيا وإيطاليا وراح ضحيتها أكثر من 30 مشجعا، ولنا أن نتخيل كيف لو كان سقط قتيل واحد في مباراة مصر والجزائر، ماذا سيكون عليه الوضع، نعم حدثت اعتداءات على الحافلات الجزائرية في مصر من قبل مشجعين مصريين، والعكس حدث في السودان من قبل مشجعين جزائريين وتم الافتئات على كلا الحدثين في غياب للمهنية الإعلامية، ولكن رغم ذلك لم يسقط قتيل واحد، وأن المباريات الثلاث مرت داخل المستطيل الأخضر بسلام، فذلك يعني وجود مشكلة فيما هو خارج الملعب، فحالة التعبئة الإعلامية التي حدثت، وشعور كل مجتمع بواجبه في الدفاع عن المعتدين وكأنهم يمثلون الشعب المصري أو الجزائري.

حدثت اعتداءات على بعض الشركات المصرية بالجزائر، ولكن من قام بتلك الاعتداءات لا يمثلون الشعب الجزائري، ولكن أن تكون في الثقافة العامة لأي من الشعبين فكرة الرغبة في النظر إلى هؤلاء المعتدين كمصدر فخر للشعب المصري والجزائري، فهذا مخجل ويجب أن يكون مصدر عار لأي مجتمع يحترم نفسه ويحرص على بناء قواعد حقيقية من أجل تقدمه، الفرق بين ما حدث بين بريطانيا وإيطاليا وما حدث في مباراة مصر والجزائر، أنه عندما شعرت الحكومة البريطانية بالعار لما حدث من المشجعين الإنجليز المتعصبين، خرجت الصحف البريطانية تنتقد الحادث ووضعت خططا لمحاسبة المعتدين ومحاكمتهم ومحاربة الهوليجانز، ولكن في الحالة المصرية الجزائرية تم اعتبار الخارجين عن القانون جزءً أصيلا من الشعب وكأنه يجب عليك أن تنصر أخاك ظالما أو مظلوما، نعم قد تكون هناك فروقات واختلافات في العادات والتقاليد والكود الاجتماعي والثقافي بين مصر والجزائر. الجزائريون في فرنسا – على سبيل المثال– من أكثر الناس قربا من القضايا العربية في المحافل الدولية، والقضية الفلسطينية تمثل لديهم خطا أحمر، ولكن يجب أن نعلم أن التركيبة الاجتماعية في الجزائر مختلفة عنها في مصر، فمصر مجتمع طبقي، أما الجزائر فمجتمع غير طبقي، مصر فيها فروقات اجتماعية أكثر من الموجودة في الجزائر، ربما بعض السياسيين والإعلاميين في مصر يقولون كلاما ربما لا يعنونه بالمرة، أما الجزائري فلا يستطيع قول شيء غير محسوب، وبالتالي الجراح التي خلفتها الحادثة ربما يكون

لها تأثير على المجتمع الجزائري أكبر من المجتمع المصري، وأرى أنه في الحالة المصرية كان هناك تنوع أكبر وتيار أكثر وضوحا في رفضه للتناول الإعلامي السائد مع الأزمة وكان تيارا نقديا للدور الإعلامي المصري، وفي رأيي لو كان في كلا البلدين دولة قانون حقيقية لتمت مواجهة هذه الأخطاء بصرامة، فهذه اللغة العنصرية، وارد أن يتم بها إهانة البربر في الجزائر أو المسيحيين في مصر، فهذه اللغة تكمن خطورتها في أنها من الممكن أن ترتد محليا، فمن يتعلم منظومة القيم المتعلقة بالعنصرية والكراهية والاضطهاد يمكنه استعمالها في أي اتجاه .

أزمة الإعلام الرياضي العربي

وتداعيات مباراة مصر والجزائر

أ. حسن المستكاوى عضو مجلس تحرير جريدة الشروق وناقد رياضي

أثارت مباراة كرة قدم بين فريقي مصر والجزائر التي جرت في شهر نوفمبر الماضي تداعيات نفسية وسياسية عميقة بين الشعبين، أدت إلي توتر العلاقات بينهما، ووصل التلاسن بين إعلام البلدين إلي درجة غير مسبوقة من الإهانات والشتائم.

والسؤال : ما الذي جعل مباراة كرة قدم مهما كانت أهميتها أو الحساسية المصاحبة لها تثير كل هذه الأزمات، وكيف نجحت التعبئة الإعلامية بكل هذه السهولة في حشد جماهير مليونية في مصر والجزائر وحولت حب الكرة والتشجيع المشروع لكل فريق إلي ميدان للحرب والعراك بين الشعبين.

من المؤكد أن هناك أسبابا سياسية واجتماعية ساعدت على تحول مباراة كرة قدم إلي ساحة للحرب والقتل المعنوي بين الشعبين، لكن من المؤكد أيضا أن هناك مسئولية كبيرة تقع على إعلام البلدين، وحان وقت مناقشتها لمعرفة الأخطاء المهنية الجسيمة التي صاحبت تغطية الإعلام لأحداث هذه المباراة.

والمفارقة أن كثيرا من هذه الأخطاء جاءت من الإعلام الرياضي المصري الذي تبثه قنوات فضائية خاصة يفترض أنها أكثر تحررا من قيود الإعلام الحكومي، ومع ذلك كانت أخطاؤها جسيمة، وهو الأمر الذي يعيد طرح السؤال حول القواعد المهنية التي تحكم الإعلام الخاص في مصر والعالم العربي، وما مشكلاته وكيف يمكن تطوير أدائه المهني دون أن يفقد استقلاله النسبي عن الحكومة؟

هذا هو مدخل الندوة التي نشهدها الآن بدعوة من " منتدى البدائل العربي للدراسات والمعهد الدنمركي المصري للحوار" ، وهو موضوع يستحق أن يبحث بعمق ، ونقطة البداية أن نعرف أولا ماذا تعني كرة القدم تحديدا للشعوب؟ وماذا يعنى النشاط الرياضي ؟

وهنا سأكتفي بالإشارة للإجابة بإيجاز ، خاصة أن المسألة تتعلق بدراسات وأبحاث قام بها خبراء في مجالات الاجتماع والرياضة والسياسة والإعلام على مدى مائة عام .. ولعل هذا التفسير لما تعنيه كرة القدم يكون مدخلا لفهم ما جرى بين مصر والجزائر في ساحة كرة القدم ..

**أولا : ماذا تعنى كرة القدم للشعوب ؟!

الشغف باللعبة أعمق وأوسع من الفطرة والغريزة التي تفسر أصل الاهتمام بالكرة بخروج الرجل للمطاردة والصيد في العصور القديمة . فكرة القدم ببساطة هي صورة من صور الصراع المشروع بين البشر، أو هي البديل المشروع للحرب .. والحرب غريزة بشرية أيضا .. وكرة القدم هي مباراة بين فريقين يسعى كل منهما إلى احتلال أرض الآخر، بامتلاك الكرة وحيازتها وبتكتيكات وتحركات جماعية تتجلى فيها مهارة الفرد وموهبته وقيادته، وكرة القدم بتعبير آخر تعد صورة من صور الصراع الجماعي المتكرر، وعن الصراع الجماعي يقول جورج زيفلير الصحفي الفرنسي والكاتب في الفيجارو : " منذ الأزل والمظهر الذي يحكم العلاقات الإنسانية هو الكفاح , فعندما تهاجم جماعة ما جماعة أخرى فان رد المجموعة الأخرى هو حتما المواجهة ومنها يأتي التصادم والعنف "!

لقد تغيرت أوجه الجمال، فقديما كانت المباراة مبارزة فردية وصريحة وواضحة بين بعض المواهب وبعض المواهب الأخرى في مساحات زمنية رحبة واسعة ، وباتت الآن المباراة تجسيدا لفكرة الصراع الجماعي الذي يستند على التكتيك والدهاء والقوة والسرعة في كل شيء ، ويجرى في مساحات زمنية قصيرة ومساحات مترية ضيقة .. وهو صراع مستمر طول زمن المباراة . صراع من أجل إحراز هدف ، ولا يمكن أن تعرف مبكرا متى ينتهي هذا الصراع أو لمصلحة من ، وتبقى منتظرا حتى النهاية لتعرف النتيجة .. نتيجة كل هجمة ونتيجة كل مباراة .. وهو من أهم أسرار كرة القدم ومن أهم أسباب شعبيتها الطاغية مقارنة باللعبات الجماعية الأخرى مثل كرة السلة والكرة الطائرة وكرة اليد، حيث تعلم جيدا وأنت تشاهد مبارياتها أن كل هجمة تقريبا ستنتهي بنقطة أو بهدف ، بينما في كرة القدم لا يمكن أن تنتهي كل هجمة لفريق بهدف .. !

تلك اللعبة أعمق وأوسع وأهم من أن تسطح ، أو تعتبر هزلا وحصة ألعاب

فالمباراة الواحدة تكون أحيانا مثل دورة ألعاب في الثقافة والسياسة والتاريخ والعسكرية والعلم والتكنولوجيا .. لم تعد الحروب حلا وحيدا أو خيارا وحيدا عند الدول وعند شعوبها بحثا عن علم التفوق ورفع رايتها ..

كرة القدم تجمع القلوب والشعوب بالتأكيد، إلا أن شعوب العالم الآخر ، يجمعها أيضا السياسة والعمل والقضايا الوطنية، وهم يرون في مباريات كرة القدم فرصة للترويح والخروج عن الروتين ، والقانون الصارم .. وهناك دراسة قام بها الباحث الفرنسي كريستيان برومبرجر الأستاذ بجامعة بروفانس جنوب فرنسا عن كرة القدم كظاهرة تنسحب آثارها على الفرد والمجتمع وشاركه باحثان آخران وكانت الدراسة على جماهير مرسيليا ونابولى وتورينو واستغرقت 10 سنوات، وقد درس الباحثون سلوك الجماهير في ملعب كرة القدم وتوصلوا إلى أن الملعب يجمع بين المؤيدين وهم الجمهور، وأبطالهم وهم اللاعبون، وأن هذا الملعب أحد الأماكن القليلة التي يستطيع فيها الإنسان أن يفلت من القانون والضوابط والقيود الصارمة التي تنظم حياته في الشارع والمدرسة والعمل والمنزل، ولذلك فهو في الملعب ينفلت ويفرح ويصرخ وينفعل ويغضب وسط سلوك جماعي مماثل.. وهذا السلوك الجماعي مثير للبهجة في جميع الأحوال بما فيه من مشاركة واتفاق ..!

** هذا عن أهمية اللعبة بشكل عام ، وقد ثبت بدلائل قاطعة أنه بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت الشعوب كلها تخرج إلى الشوارع بالملايين لسببين أساسيين :

1 – للاحتفال بالفوز ببطولة كرة قدم كبيرة مثل كأس العالم ، ومازالت مشاهد الملايين في فرنسا وألمانيا واليابان وكوريا ماثلة في الأذهان .

2 – لتأييد أو لتغيير واقع سياسي .. وهذا الأمر تسجله مشاهد حركات التغيير السياسية في أوروبا الشرقية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ..

وبالتالي فإن تفسير فرحة الشعوب العربية والشعب المصري تحديدا بأنه يحتاج إلى انتصار ، أو أنه محبط وفقير ويسعى للاحتفال والفرحة .. فإنه يظل تفسيرا قاصرا وغير دقيق . فصحيح أن الشعوب العربية كلها أسيرة ، ومحبطة ، وتعانى من الهزيمة في شتى جوانب الحياة بالقرن الحادي والعشرين وقبله أيضا .. إلا أنى أختصر هنا بتفسير الخروج للاحتفال فقط ، وهو نفسه سبب خروج شعوب أخرى .

لكن هذا الخروج والاحتفال برفع العلم يجسد منطق " الوطنية السهلة " لأن الوطنية الصعبة تعني عملا وبحثا وإنتاجا ورؤية سياسية واقتصادية ومنهجية لعشرات السنين، وهذا النوع من الوطنية لم ترثه بعد الشعوب العربية المدللة أو الشعوب العربية الأسيرة !

كرة القدم لعبة عند العالم الأول، وحدودها الملعب المغطى بالعشب الأخضر الجميل .. حيث يهتم هذا العالم بجانب ما في أعماقه من غريزة حرب وقتال وإعلان تفوق ، يهتم هذا العالم بظاهر الرياضة ومفهومها ، ففي النهاية هي شعوب تمارس نشاطا إنسانيا يعكس القدرة البشرية ، ويحتفي بانتصار الإنسان في صراعه مع الزمن والمسافة والثقل ..وهم لا يخلطون الأمور ، فلا يلقون بهموم السياسة في ملاعب الرياضة . نعم حدث ذلك قديما ومازال في بعض الأحيان ، ومن ذلك حزب بيرلسكونى في إيطاليا ، واسمه " فورزا إيطاليا " وهو نداء مشجعي المنتخب الإيطالي .. لكن الرياضة وملاعبها في عالمنا العربي تحولت إلى ساحات حرب وميادين قتال، وعلى مدى ما يقرب من خمسين سنة ظلت اللقاءات العربية العربيه غنية بالاشتباكات واللكمات وطلقات الرصاص، كما حدث في دورة الألعاب الرياضية بالأردن منذ سنوات . وكما يحدث في كثير من المباريات ، ويتحمل المسئولية بالدرجة الأولى الإعلام بكل وسائله ..

** منذ أن وصف الشاعر الإغريقي هوميروس في عام 1200 قبل الميلاد في الإلياذة بعض المباريات الرياضية، كان الدور والهدف ومازالا للصحافة عامة وللصحافة الرياضية بالتالي، هو إعلام الناس وإخبارهم وتنويرهم . وعلى مدى مئات السنين لم يتغير الدور ولم يتغير الهدف لكنه – بالتأكيد – تطور بقدر ما ارتبط تطور الصحافة عامة والصحافة الرياضية بالتالي، في شتى أرجاء العالم بعوامل كثيرة .

منها اكتشاف اللعبات وحجم النشاط الرياضي ذاته وقاعدة الممارسين وتأثير ظهور الإذاعة ثم التليفزيون ودخول المال واحتلال اللعبات . وقد سبقت الرياضة صحافتها بزمن وأزمان فهي نشاط إنساني مارسته البشرية بالفطرة والغريزة ومن وحى الحاجة من أجل الصيد والحرب .

لقد عرف الإنسان الرياضة الحديثة وأشكالها قبلنا – نحن العرب – بسنوات، وكان تأثير ذلك بالغا على الرياضة العربية وصحافتها . عرف العالم التنس عام 1400 بعد الميلاد، وألعاب القوى عام 1510 والجولف في عهد الملكة مارى (1542 – 1567) ، والملاكمة عام 1719 ، والتجديف عام 1829 وغيرها من اللعبات الحديثة . ولا أتحدث عن الرياضة التي لعبها الفراعنة ولا السومريون ولا حتى العرب مثل الفروسية التي مكثنا سنوات طويلة نمارسها بمنطق فروسية امرئ القيس :

"مكر مفر مدبر مقبل معا كجلمود صخر حطه السيل من عل"!

لقد اكتشف العالم ومارس الرياضة الحديثة قبلنا بخمسمائة عام، ولم يكتشف العرب لعبة واحدة باستثناء كرة السرعة، ولعب العالم كرة القدم " أم اللعبات العربية " قبلنا بمائة عام . وكان هذا التآخر في معرفة الرياضة

وفى ممارستها من أسباب تخلف الرياضة العربية .. بينما – وهو الأمر المدهش – تطورت الصحافة الرياضية ! لكن أي شكل من أشكال التطور ؟!

قبل الإجابة على السؤال أتوقف قليلا حتى لا يخرج علي أحد الزملاء ليتهمني بأنني لا أعرف تاريخنا وانتصاراتنا الرياضية . فقد حقق الرياضيون العرب إنجازات دولية وعالمية قليلة جدا، بدء من ملوك الحديد المصريين في النصف الأول من القرن العشرين، ونهاية بعويطة والكروج وصوعان وحسيبة ونوال المتوكل وأحمد حشر مكتوم ورشوان وبو طيب ومرسلى وغيرهم . لكن الإنجازات تبدو مرتبطة بتوفيق فرد وليس بتنظيم مجتمع . خاصة أن التفوق العالمي والدولي يعنى الوجود على منصات التتويج معظم الوقت، مثل بئر ماء يفيض مع كل دورة أو بطولة . إلا أن البطولة العربية مجرد حالات فوران . ولن يتجاوز حصاد العرب من ميداليات أوليمبية 75 ميدالية ، بينما للولايات المتحدة مثلا ما يقرب من 2300 ميدالية ..

هكذا نجد أنفسنا أمام نشاط رياضي ضعيف يقابل بصحافة رياضية نشطة، وربما يتساوى الكم العربي الورقي في دولة واحدة مع الكم الإنجليزي أو الأمريكي وحده . وهذا يرجع – مبدئيا – إلى أن الرياضة هي السلعة الصحافية العربية الأولى القابلة للبيع , والتي يقبل عليها القراء , بينما لا تباع السياسة ولا تشترى، وهذا الكم الورقي العربي الذي يغطى الملعب يعوض الفراغ السياسي في الشارع العربي . فبقدر الأوراق الرياضية الإنجليزية والأمريكية في مجال الرياضة، هناك أوراق أخرى تكتب وتروى ظمأ القارئ في مجال السياسة لكن الحال ليس كذلك في الوطن العربي من الماء إلى الماء، وقد بات التحزب لفرق وأندية بديلا للانتماء والتحزب السياسي .

وكان البعض يقول في الولايات المتحدة قبل 5 سنوات إنه إذا أرادت إدارة الرئيس بوش (الرئيس الأمريكي الأسبق) التعرف على التيارات في بعض الدول مثل السودان وإيران وليبيا فإن عليها متابعة كرة القدم في هذه الدول، وفسرت وزارة الخارجية الأمريكية أحداث شغب وقعت في الدوري الليبي لكرة القدم في يوليو عام 1996 على أنها من مظاهر الاستياء العام من الحكومة الليبية .. ولم يكن ذلك صحيحا أو دقيقا، لكنه يعكس حقيقة أن الرياضة كانت حتى وقت قريب جدا في بعض دول العرب ، هي البديل المسموح به للسياسة في الشارع العربي، وهذا من أسباب ذلك الكم وسيطرته على الصحافة العربية وبإيضاح أكثر وبصورة مباشرة وبصراحة، يمارس المواطن العربي حريته من خلال الرياضة وتمارس الصحافة الرياضية حريتها بالكتابة عن الرياضة وأنت حر . تستطيع أن تكتب ما تشاء عن أي فريق وأية لعبة وأحيانا تكون هناك بعض القيود بينما لا تستطيع أن تمارس هذه الحرية في نقد أي وزير أو سلطة في كثير من الدول العربية ..

ومن أسف، إن الحرية الرياضية – إن جاز التعبير – تكون أحيانا مطلقة وبلا سقف أو حدود فتتحول إلى فوضى، وهو ما سنعود إليه لكن ذلك قد يكون تفسيرا لحجم الكم الذي نمارسه من الرياضة الورقية !

وعندما يكون المفهوم أن الحياة واللعب طبعا دوما انتصارا، يكون ذلك هو الجهل بعينه، وتظهر آثاره في سلوكيات البشر فتتجلى الغوغائية، وتعلق الهزائم الكبرى على الغير بدء من الحكم وانتهاء بأمريكا، وهذا من أكبر خطايا الصحافة الرياضية العربية على وجه العموم، دون تحديد صحافة دولة بعينها !

وهكذا فرض الكم على الصحافة الرياضية العربية المزيد من السطحية في أحيان كثيرة، وأصبح تضخيم نشاط وتفاصيل أتفه نشاط مادة للكتابة، وحتى قيمة التحليل فقدت في كثير من الأحيان معناها، وأهدرت مساحات ورقية وزمنية تليفزيونية في ترسيخ منطق أن تشجيع الفريق هو تشجيع للوطن، وأنه كلما ارتفع صوت المعلق أو سخنت العناوين، يكون ذلك إعلانا للوطنية، ونتج عن ذلك الكثير تراشقات عربية عربية، أو محلية محليه، وهى معارك لا تفيد القارئ والمشاهد حتى لو كانت مصبوغة بكلمات " الحقيقة .. والصالح العام .. والمبادئ والقيم " .. وأزيد بأن الصحافة الرياضية العربية والإعلام العربي كله رسخ أيضا عند المتلقي أن في المنافسات الرياضية فائز وفائز.. وأن هذا الفائز لابد أن يكون عربيا حتى لو كان منتخبا لكرة القدم يلعب مع ألمانيا أو البرازيل في كأس العالم .

وتلك حكاية أخرى ترتبط بتطور المهنة ومن يمارسها ومدى ثقافته الرياضية، وكيف أن الرسالة المعرفية والتنويرية التي هي أساس مهنة الإعلام والصحافة أصبحت تعصبا واختلافا وافتعالا لمعارك، لأنها باتت مهنة العديد من الموظفين غير المتفرغين، فتحول الإعلام الرياضي شأن الإعلام السياسي والديني والاقتصادي والاجتماعي ، تحول إلى عروض أراجوزات ، تصل فيها ذروة المشهد ، تلك اللحظة التي يضرب فيها الأراجوز زوجته بالعصا .. فيضحك الأطفال .. هكذا أصبح الإعلام الرياضي ، يفسر التعصب ويبرره بالوطنية . ويعتبر الفريق هو الوطن ، ومن أجل الوطنية ومن أجل الوطن تسب وتلعن الفرق الأخرى التي هي أوطان أخرى .. خاصة في مناخ عربي عام لم يعد يهتم فيه أحد بفكرة القومية العربية ، إما استحسانا بالانسحاب منها خوفا على الثروة والمصلحة، أو رفضا لكل ما تضمنته الفكرة القديمة من وعود لم تحقق .. بينما في حقيقة الأمر ستبقى نهضة العرب مرهونة بوحدتهم ؟!

** هذا جزء مهم من أزمة الإعلام الرياضي العربي .. إلا أن أسباب الأزمة تمتد إلى مفهوم الرسالة الإعلامية ، فهو غير مفهوم أو مهضوم ، ولأن الرياضة منتج يباع ويشترى في العالم العربي قبل الرياضة والسياسة ، ومع

زيادة عدد الصفحات والصحف والفضائيات والبرامج، دخل المجال غير المتخصصين الذين يبحثون عن المال والشهرة، ومع غياب الدراسة والممارسة وغياب الثقافة، أصبحت الرياضة مسطحة التناول، خاصة أن من يخاطبون بها يرون أنهم يخاطبون طبقة لا تستحق العمق والتحليل ، بالإضافة أيضا إلى أن الخطاب الرياضي تأثر بغياب الممارسين ، فبرنامج تنس في أمريكا مثلا يخاطب 20 مليونا ، ولكنه لن يجد من يخاطبه في مصر ، والأمر ينسحب على كل اللعبات ماعدا كرة القدم .

قد تحول الأغلبية إلى محاضرين في برامجهم يستغلون مساحات زمنية مخصصة للمشاهد أو المتلقي من أجل تمرير أنفسهم بكل السبل . وأصبح المحرر الرياضي " كشكولا " يكتب في الجمباز والتنس وألعاب القوى السباحة وكرة الريشة .. ونتيجة لافتقاد التخصص لم يعد القارئ يجد دائما إجابة على السؤال : لماذا حدث هذا وكيف ؟

لكن الظواهر الأكبر خطرا، هي الانتماء لأندية وفرق لدرجة التعصب، ولست ضد الانتماء لكنه يبقى خارج نص الورق، وهناك ظاهرة افتعال أزمات وتغطية أخبار تصلح لصفحات الحوادث والعمل لدى أندية وتبني وجهات نظرها والتغطية على فشلها وعلى فشل مجالس إدارتها، ثم تجلي ظاهرة دخول الصحفيين الرياضيين في الأعمال الإدارية بالاتحادات واشتغال رجال الاتحادات بالعمل الإعلامي ، فاختلطت المصالح وتزاوجت ليموت الحياد وتسقط الموضوعية .

** هذا جزء آخر مهم من أزمة الإعلام الرياضي العربي .. وأضيف أنه إعلام بطيء التطور ، ولا يلحق بالعصر أو بلغته ، ففي كثير من الأحيان تجد هذا الإعلام يتحدث في عام 2010 بكلمات ومانشيتات عام 1960 ..

لأنه إعلام لا يتجدد ولا يجدد .. ولم يدرك أن الصورة التليفزيونية أهم من ألف كلمة ..فتجد برامج الرياضة بها كلام أكثر من الحركة . و من أسف أن التطور العالمي في التغطية التليفزيونية فرض تطورا على التغطية التي تمارسها أو يجب أن تمارسها بدورها الصحافة الرياضية، لكنها ما زالت تلعب بطريقة قديمة عفى عليها الزمن ..

** لكن يبقى أهم الأسباب في أزمة الإعلام الرياضي العربي، هو هذا الخلط بين الوطن وبين الفريق ، وبين البطل الجندي وبين البطل اللاعب .. هذا الخلط بين ساحة اللعب وبين ساحة الحرب .. أصبح العرب يلعبون في حروبهم ويحاربون في لعبهم .. ومن ذلك مثلا أيضا ما ردده اللاعب الجزائري مجيد بو قرة صاحب الهدف

الثاني في مرمى ساحل العاج ببطولة الأمم الإفريقية الأخيرة بأنجولا حيث قال : " كنت أرى الشعب الجزائري وأنا أسجل الهدف " .. وهذا فارق مهم بين المنتخبات العربية وبين نظيرتها الأوربية والأفريقية . الملاعب بالنسبة لنا – نحن العرب والمصريين – ميادين نضال وحرب، يرفع المنتصر فيها علم البلد ، بينما الملاعب بالنسبة للأفارقة ساحات لعب وترويح يرفع الفائز فيها راية الفريق والفرد ..!

وهؤلاء المحترفون من أمثال دروجبا وتوريه وكيتا وبامبا وكالو، تربوا في عالم الكرة الأوروبية على اللعب لإمتاع الجمهور بكرة قدم هجومية بلا توقف ، فالمهم أن تكون الأهداف كثيرة وغزيرة ، ولا يهم أن تتسع المساحات، وتخترق الدفاعات .. وهم يحاسبون بقسوة حين يغيب الأداء الهجومي ، بينما يحاسب اللاعب العربي حين يخسر وينكسر ، باعتبار أنه أهان بلاده بالخسارة وكسرها ..ولذلك أصبحت الأناشيد والأغاني الوطنية في بلاد العرب مرتبطة بمباريات كرة القدم ، وهى كذلك في كل موقع من الماء إلى الماء . من الخليج إلى المحيط .. هي كذلك لأن معارك العرب الوطنية باتت في المباريات ، فهم لا يخوضون أية معارك أخرى ؟!

لاحظوا الأغنيات الوطنية التي يشدو بها العرب في تلك الأيام ، لاحظوها في قطر والسعودية ومصر والجزائر وتونس والكويت، وهى كثرت في بلادنا بعد تعدد الانتصارات في السنوات الأخيرة على المستوى القارئ ، فأصبحنا نردد : المصريين اهما . . وما شربتش من نيلها ، في إقحام وخلط لكرة القدم بالوطن ، وفى الوقت نفسه بات المطربون يشدون بأغنيات خاصة للمنتخب ، تؤلف وتلحن سريعا كلما حقق الفريق الفوز في مباراة .. في اقتحام آخر للوطن من ثقب كرة القدم ..كنا قديما نغني لأحلام الأمة ومعاركها ولو كانت لبناء سد ، واليوم نغني من أجل المشجعين!!!

** المعلقون والخبراء والنقاد والمحللون العرب من الجيل الجديد أصبحوا يرون أنفسهم جنودا في الصفوف الأمامية لتلك الحرب ، وبعضهم يرى نفسه من أهل القيادة وجنرالا يقود معركة .. وعندما قال مذيع الجزيرة هشام الخلصى : إننا نتمنى فوز الجزائر على ساحل العاج ، ضحك جورج وايا النجم الليبيري الأسبق والمحلل بالأستوديو ، ضحك مندهشا وساخرا فالمباراة بين فريقين وهذا ستوديو تحليلي وليس مدرج تشجيع ، لكن الرجل لا يعرف أن هشام الخلصى الذي يمارس عملا مهنيا محترفا يسير على درب جميع المعلقين والمحللين بما فيهم كل المصريين أيضا .. ونحن هنا أمام قضية مثيرة للجدل ، فهل ينحاز المعلق لفريقه ولا يرى سواه ، ويصرخ ويهتف من أجله ، ويوصف بأنه وطني وساخن ، أم يكون محايدا ومنصفا ويرى الفريقين، فيتهم بعدم الوطنية والبرود !!!

** هذا حسب ظني سؤال مهم يعكس جزء من أزمة الإعلام الرياضي العربي .. إعلام غير صادق وغير أمين ، وغير منصف ، وغير عادل ، وغير موضوعي ، وغير رياضي ، ويبحث عن الشهرة والمال ولو كان ذلك على جثة الرياضة ..

والواقع أن غضبة الرأي العام ، في الشارع العربي عموما لا تنصب على الصحافة الرياضية وحدها أو الإعلام الرياضي وحده، وإنما تمتد إلى الإعلام كله المتهم بالاستهزاء بعقول الناس.

والحقيقة أنه من سوء حظ الرياضيين أنهم يعملون في ساحة وفى مساحة تحظى بأكبر قدر من المتابعة والاهتمام بسبب نتائج الصراع التي تظهر فورا، وتشهد بتفوق طرف على طرف ..كما أن المنافسات الرياضية فيها مبارزات بين معسكرات وفرق وجماهير . وفى الرياضة نجد الرأي العام الذي يتابع تلك المنافسات ، نجده يختلف وينقسم بصفة شبه يومية .. بينما لا يوجد هذا الاختلاف الواسع واليومي ، بنفس الشدة ونفس القوة ، في ساحات السياسة أو الاقتصاد أو الفن والأدب أو في الدين ، وربما هناك اختلاف في الدين لكنه يبدو متخفيا وخافيا وخافتا .. أما السياسة ففيها اختلافات وانقسامات النخبة ، فيما لا يهتم بالسياسة عموم الجمهور أو عامة الشعب وتلك حقيقة مؤكدة ، لمن لا يرونها أو لمن لا يريدون أن يروها أو لمن يرونها ولا يعترفون بها !

الإعلام بصفة عامة قصته طويلة ، فهو الذي اعتبر الانتصار السياسي في حرب 56 نصرا عسكريا . وهذا الإعلام هو الذي جعل كارثة 67 مجرد نكسة، وهذا الإعلام هو الذي اختصر انتصار حرب أكتوبر العظيم في الضربة الجوية ، بينما كان هذا الانتصار نتيجة فريق عمل متكامل من جميع أبطال القوات المسلحة ، بدء من القائد العام وحتى أصغر جندي .. والرئيس مبارك ليس في حاجة إلى ذلك ، فرصيده العسكري والوطني والسياسي يكفيه ، وهو الذي يؤكد دائما أن بطل حرب أكتوبر هو الرئيس السادات .. فلماذا يختصر إعلامنا هذا الانتصار في الضربة الجوية ؟!

نحن أمام أمثلة في غاية الخطورة .. هزت البلد ، وهزمتها وكسرت أجيالا، وكلفت مصر أكثر من 120 ألف شهيد ، وكلفتها نفقات دمرت عمليات البناء الاقتصادي والسياسي والعسكري .. نحن أمام أمثلة لعب بها الإعلام في سنوات ماضية ، وتلاعب بعقول أجيال .. وهو أمر أخطر ألف مرة من مانشيتات الإعلام الرياضي الذي يتحدث عن مباراة ، أو عن حسن شحاتة ورابح سعدان ، ويختلف على ضربة جزاء .. !

وحين تكتب صحيفة قومية أن زعماء العالم في قمة الثمانية أصروا على التقاط صورة لهم مع الرئيس مبارك، فإن المواطن يقرأ ويشاهد ويتابع صحافته بغضب وحزن !!!

لكن يبقى السؤال العميق : هذا الإعلام يخاطب من ؟

هل يخاطب النخبة المثقفة المهتمة بشئون البلد ومستقبلها ؟ أم يخاطب أغلبية بسيطة؟ و يظن بسذاجة أنه قادر على التلاعب بعقلها ؟!

القضية ليست الإعلام الرياضي فحسب ، ولكنه إعلامنا العربي كله الذي يتقدم إلى الخلف .. فإعلامنا عبارة عن خناقة . الإعلام يحتاج إلى وقفة ومراجعات ، ويمكن أن أضرب ألف مثال لوقائع تكشف خطورة منح القلم أو الميكروفون إلى أي شخص بلا رابط وبلا ضابط.

ومازلت أذكر هذا المشهد : " كان الجو خانقا ، والزحام هائلا ، والمساحات ضيقة ، والحضور منفعلين ويفعلون ذلك بطريقة الضغط على الخصم ..عند الاحتفال بنجاح سمير زاهر وقائمته في انتخابات اتحاد الكرة .. ففي ساحة مقر الاتحاد بالجبلاية ضاقت الصدور والأنفاس بسبب التدافع والزحام .. وكان المرشحون الفائزون يتحدثون وهم منهكون وغرقى في عرقهم ، وأربطة العنق انتقلت إلى موقع أربطة الكتف ، وزادت المبالغة في حمل سمير زاهر على الأعناق ، والهتاف : " بالروح بالدم نفديك يازاهر .."

ومن يسمع هذا الهتاف ولا يراه يظن أن زاهرا كان قادما من حرب انتصر فيها أو كان على وشك خوض حرب يمكن أن يستشهد فيها؟! واكتملت الدراما حين عرض برنامج رياضي مشاهد لرئيس الاتحاد الجديد وهو فوق الأعناق، ويصاحب التقرير أغنية شرين " : ما شربتش من نيلها " .." ؟! وهى فيما يبدو البديل في الوقت الراهن لأغنية والله زمان يا سلاحي .. ثم أغنية المصريين أهمه حيوية وعزم وهمه ..

ما تلك الثقافة الضحلة الضئيلة وما هذا الاستخفاف والاستهتار والتسطيح ..لماذا كان هذا الربط بين تتويج زاهر رئيسا لاتحاد الكرة وبين مصر؟! الناس تسأل بسبب تلك المشاهد وغيرها: ما هذا النوع من الإعلام الرياضي .. أو هل هذا إعلام أصلا ؟!!

وهنا نصل إلى تداعيات مباريات مصر والجزائر .. وكيف كان لها تأثيرات سلبية نفسية وسياسية عميقة بين الشعبين، أدت إلى توتر العلاقات بينهما، ووصل التلاسن بين إعلام البلدين إلي درجة غير مسبوقة من الإهانات والشتائم.

والسؤال : ما الذي جعل مباراة كرة قدم مهما كانت أهميتها أو الحساسية المصاحبة لها تثير كل هذه الأزمات والجزائر وحولت حب الكرة والتشجيع المشروع لكل فريق إلي ميدان للحرب والعراك بين الشعبين.؟!

قبل أسابيع من مباراة 14 نوفمبر بين منتخبي مصر والجزائر أطلقت مبادرة تهدئة عبر جريدة الشروق ، بعد أن تابعت طويلا حوارا أو حربا الإنترنت بين شباب البلدين ، وتملكني خوف كبير من واقع تجارب عربية كثيرة، ألا تكتمل المباراة بسبب اشتعال الموقف .. ففي أزمان سابقة كانت الخلافات موجودة بين جماهير الكرة ، لكن الكراهية لم تكن تبث مباشرة كما هو الحال مع الإنترنت ..قديما تعرضت بعثات رياضية مصرية وجزائرية لمناوشات واشتباكات ، لكن السباب والإساءات البالغة لم تكن تنقل مباشرة كما هو الحال هذه الأيام .. لكن الحرب ظلت مقصورة على عدد من جماهير البلدين من المتعصبين ، فأطلقت تلك المبادرة لعلها تساهم في تهدئة الأمور .. إلا أن المفاجأة أن الصحف الجزائرية كانت تشعل النار بتقارير وأخبار فيها إساءات بالغة لمصر وللمصريين .. ومن أسف أن يتحدث البعض أنها صحف صغيرة غير مؤثرة ، وهذا غير صحيح ..

الصحف الجزائرية تحرك الرأي العام في الجزائر ، وهى تساوى الآلة الإعلامية المصرية بكل فضائيتها وصحفها .. والصحف الجزائرية لا يعرفها الشارع المصري والعربي ولا يتابعها ، ولا تخرج عن حدود الجزائر، بينما يتابع الشارع العربي كله الإعلام الرياضي المصري .. ولذلك شعر العرب وبعض الكتاب في مصر أن الإعلام المصري خاصة التلفزيوني وراء اشتعال الحرب الرياضية .. والحقيقة أنه ساهم لكنه لم يطلق الشرارة .. وإنما أطلقتها صحف الجزائر وارتكبت جريمة مهنية عربية لا يمكن أن تمر ولا يجب أن تمر ..

نعم تعرض أتوبيس بعثة الجزائر يوم وصولها القاهرة لاعتداء بالحجارة ، وهو أمر سبق أن تكرر كثيرا في الجزائر لبعثات مصرية ، كما سبق أن تعرضت الفرق والبعثات المصرية في ملاعب الجزائر لأسوأ أنواع السباب، نقلت الأهرام خبرا مسيئا للجزائريين ، وترتب عليه، وفى أكتوبر 1989 نشرت خبر مظاهرة كبيرة ضد بعثة المنتخب المصري بالجزائر قبل خوض مباراة تصفيات كأس العالم في الشهر نفسه .. فأصدرت البعثة المصرية بيانا تعتذر فيه عن الخبر وتوضح حقيقته .. وكنت مصاحبا للبعثة في ذلك الوقت .. لكن الذين

يتصورون أن حجر نوفمبر بالقاهرة ضد أتوبيس الجزائر وراء اشتعال الأزمة، فعليهم مراجعة الصحف الجزائرية (أحتفظ بها) قبل وصول الفريق الجزائري إلى القاهرة بأسابيع لمتابعة ما كتب عن مصر والشعب المصري من إهانات بالغة ..سواء في صفحات الرياضة أو في غيرها .. واستخدام تعبيرات الصهاينة وآل فرعون .. وزادت فيما بعد مباراة 14 نوفمبر بنشر موضوعات ملفقة عن سقوط قتلى وشهداء وانتشار جثث جزائرية في شوارع القاهرة .. كأنه مخطط تشويه محسوب بأساليب الهواة .. وكنت تعجبت من قصة غير رياضية نشرتها صحيفة جزائرية يوم مباراة أم درمان في 18 نوفمبر ، وهى قصة سفينة " نجم الإسكندرية " التي وقعت عام 1963 وتذكرتها صحيفة جزائرية يوم مباراة الخرطوم وروتها على لسان إعلامي قديم ، وقالت إنها انفجرت في ميناء عنابة وكانت محملة بالأسلحة ، وبعد التحقيقات حمل الجزائريون مصر مسئولية الانفجار فيما بينهم ومن خلال ضباطهم الذين شاركوا في التحقيقات .. إلا أن هذا الأمر لم يعلن .. لكنهم تذكروه قبل مباراة كرة قدم .. ؟

قصة الجثث التي ألقيت في القاهرة بعد لقاء 14 نوفمبر كانت مفتاحا للاعتداء السافر والسافل على مكتب شركة مصر للطيران و مقار أوراسكوم تيلكوم .. فهذا الخبر المدسوس يبدو كأنه كان مخططا له ، لفتح باب الاعتداءات، حتى أن رجال الأمن الجزائري كانوا يقفون لمشاهدة ما يجرى .. .. لماذا يتحرك الجزائريون ضد شركة تستثمر في بلادهم وتوظف أربعة آلاف مواطن، وتساعد بذلك على التخفيف من ظاهرة " الحائطيين " هؤلاء الشباب العاطلون عن العمل ويقفون يسندون ظهورهم للحائط ويقطعون الملل في أحاديث الكرة ؟!

لماذا .. هل هو حقا صراع جنرالات يسيطرون على قطاعات من الاستثمارات ؟ هل هي جهات خارجية ؟ هل هي المنافسة من شركة نجمة للمحمول (Nedjma) التي تنافس " شركة جازى " التي تملكها أوراسكوم تيلكوم .. وشركة نجمة مملوكة بنسبة 80 % لشركة الاتصالات الكويتية وطنية ، والأخيرة مملوكة بنسبة 51% لشركة كيوتل القطرية .. هل الأمر يفوق مباراة في كرة القدم وأن العنف والغضب والنهب كان مفتاحا لفتح صراعات استثماريه خطيرة عل تفاحة الاتصالات الجزائرية ؟

أطرح السؤال لأنه عندما أعلن المهندس نجيب ساويرس في مؤتمر صحفي أن خسائر أوراسكوم تيلكوم بملايين الدولارات نتيجة نهب 80 ألف تليفون محمول وتدمير مصنع ومقار الشركة ، وأن التأمين سيدفع تلك الخسائر، بثت وكالة رويترز في اليوم التالي نبأ يقول :" إن شركة أوراسكوم تيلكوم مطالبة بسداد ضرائب مستحقة منذ عام 2005 قدرها 6،596 مليون دولار " ..

** كانت هناك عشرات القصص والكتابات التي أساءت للمصريين ، وقد رد عليها إعلام مصري بإساءات مماثلة ، تكشف قلة الثقافة ، وغياب الرسالة ، وسوء استخدام المساحات الإعلامية المتاحة ، وتؤكد أننا في زمن الانحطاط والظلام الإعلامي .. ولأول مرة في تاريخ الخلافات العربية العربية ، سواء في الرياضة أو السياسة ، أرى إعلاما في البلدين لا يواجه بخطوط حمراء . وإنما وقاحة بلا سقف ، وبلا تحفظ وبلا حدود .. إعلام لا تحكمه أية قواعد مهنية ، ولا يعرف معنى الشرف الإعلامي ..ويحكمه الجهل والغباء وشهوة الشهرة والمال (النصوص كلها موجودة) ..

وحتى عندما فازت الجزائر في المباراة الأولى بين الفريقين بتصفيات كأس العالم، لم يوجه الإعلام المصري كلمة نقد خبيثة أو مسيئة ، وكل ما حدث هو إشارات إلى تسمم مجموعة من اللاعبين والجهاز الطبي .. بينما يوم حقق المنتخب المصري فوزا كبيرا في كأس الأمم الإفريقية وجهت لمصر وللمصريين اتهامات وإساءات غير معقولة .. ويوم أن طالبت بلجنة تحقيق عربية في التناول الإعلامي الجزائري والمصري لمباريات الفريقين ، والتداعيات السلبية جدا لهذا التناول، كنت أدرك أن الطلب لن يخرج عن المطالبة ..

ويبقى ما نظنه عن كرة القدم بأنها ، توحد الناس والشعوب ، وتسمح بلقاءات بين الثقافات ، وتمزج بين الحضارات، ومن المشاهد ما حققه مونديال كوريا واليابان فقد أزال تاريخا من العنف والدم بين الدولتين منذ غزو الإمبراطورية اليابانية لشبه الجزيرة الكورية عام 1867 وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية .. وفى تاريخ اللعبة وفى تاريخ البشرية مشاهد مماثلة أسقطت فيها كرة القدم كل الحواجز بين الشعوب .. ويدهشني أن تفسد مباريات الكرة ما بين الشعوب العربية صاحبة التاريخ الواحد والمستقبل الواحد والدين الواحد ، والموقع الواحد واللغة الواحدة ..وعلى الرغم من كل محاولات وادعاءات التهدئة الدائرة وسذاجة تلك المحاولات ومظهريتها .. فإني أظن ، وقد يكون ظني إثما، أن شيطان التعصب لم يرحل بعد عن سماء مصر والجزائر .

إطلالة على المشهد الإعلامي الجزائري

من خلال الأزمة الجزائرية المصرية

أ. **ياسين تملالي** كاتب وصحفي جزائري

لن تكون الورقة عن وسائل الإعلام في الجزائر ولا تفصيلا لتاريخها، فالهدف منها هو فقط تقديم معلومات أساسية في هذا الموضوع على ضوء الأحداث المؤسفة التي تزامنت مع مباريات كرة القدم بين الفريقين، المصري والجزائري في إطار تصفيات كأس العالم لـ 2010. هدفي من تقديم هذه المعلومات هو وضع هذه الأحداث في إطارها وكسر الصورة المتخيلة عن المشهد الإعلامي الجزائري كما ساهم في تكوينها خلال الأزمة الجزائرية المصرية، قسم لا يستهان به من الصحافة المصرية المكتوبة منها والمشاهدة.

جزء كبير من المعلومات التي قدمت للجمهور المصري عن الجزائر، في وسائل الإعلام المصرية مغلوطة تماما أو ناقصة وجزئية، ما أدى إلى انتشار أفكار مبتسرة في أوساط الجمهور المصري من الإعلام الجزائري كله والذي يعمل بتوجيه من الدولة، أو الفرنكوفونيين وهم المسئولون عن الحملة التي استهدفت المصريين كشعب ومصر كدولة.

لسوء الحظ، لم يقتصر أثر هذه المعلومات المغلوطة والناقصة على تعسير فهم ما جرى من تراشق بين صحافة البلدين، فأدى إلى ترسيخ فكرة غريبة عن الجزائر وشعبها لا تقل ابتسارا عن الفكرة التي أعطاها قسم من الإعلام الجزائري خلال الأزمة عن مصر والمصريين.

المشهد الإعلام الجزائري

كالإعلام المصري، ينقسم الإعلام الجزائري إلى إعلام حكومي و آخر غير حكومي، أي خاص. وكقرينه المصري أيضا، الإعلام الحكومي الجزائري لا يصح أن يسمى إعلاما "عموميا"، بحكم أنه في أغلب الأحيان (أي إذا استثنينا فترات قليلة كالمواعيد الانتخابية مثلا) لا يتكلم في الشأن العام إلا بما يتوافق مع توجهات السلطة.

هل معنى هذا أن كل الصحف غير المملوكة للدولة صحف مستقلة بأتم معنى الكلمة ؟ لا، فبعضها يمكن إدراجه في خانة الإعلام الحكومي، لأنه بدافع الحفاظ على مصالح مادية (عوائد إعلانات الشركات العمومية) يستوحي مواقفه في القضايا المهمة، الوطنية والخارجية على السواء، من الموقف الرسمي.

يتكون الإعلام الحكومي المكتوب من جرائد يومية بعضها بالعربية ("الشعب" و"المساء") وبعضها الآخر بالفرنسية ("المجاهد" و"Horizons") ومن بضع إصدارات دورية. هذه اليوميات والدوريات غير واسعة المقروئية، لكن العوائد المالية لمعظمها كبيرة بحكم أن الشركات والمؤسسات العامة، تطبيقا لتوجيهات حكومية صريحة، تنشر إعلاناتها فيها دون غيرها من الجرائد لخاصة واسعة المقروئية (بعض هذه الإعلانات ينشر في جرائد خاصة موالية للحكومة).

هذا عن الصحافة الحكومية المكتوبة، ماذا عن الإعلام الحكومي السمعي البصري ؟ يتكون من ثلاث قنوات تلفزيونية وأربع إذاعية، هذه القنوات ذات تأثير لا يستهان به على الرأي العام الجزائري، لكن تأثيرها تتعسر مقارنته بتأثير القنوات التلفزيونية المصرية، فضلا عن أن عددها أقل بكثير من عدد القنوات المصرية.

يتكون الإعلام الجزائري غير الحكومي من صحافة مكتوبة لا غير، (القطاع السمعي البصري لم يفتح بعد للاستثمار الخاص) ويضم صحفا يومية وإصدارات أسبوعية تعد بالعشرات وإن كان أكثرها تأثيرا على الرأي العام لا يتعدى العشرة وربما أقل من هذا العدد.

أكثر الصحف اليومية الخاصة مقروئية هي "الخبر" و"الشروق" (بالعربية) و"لوكوتيديان دورون" و"الوطن" و"ليبرتي" (بالفرنسية) وبدرجة أقل "ليكسبريسيون" (بالفرنسية و"الفجر" و"الجزائر نيوز" (بالعربية) ، تأسس بعضها بموجب قانون الإعلام لسنة 1990 وهو نص ليبرالي نسبيا فتح المجال لإنشاء جرائد خاصة على طريقة "الإبلاغ" أي من دون حاجة إلى موافقة رسمية أو اعتماد، وقد ساعدت الدولة على نشوء هذه الصحف بفضل ما قدمت لمؤسسيها الصحفيين من تسهيلات مادية وغير مادية.

قاست معظم هذه الصحف من العنف الإسلامي ولكنها قاست أيضا من قمع الدولة للكثير منها بالمصادرة والحجز والمنع، بل وحبس صحفييها بحجة عدم التزامها بالممنوعات الأمنية (سجن صحفيين من "الوطن" في 1993 مثلا) أحيانا والسياسية أحيانا أخرى (تعليق صدور جريدة "لوماتان" بسبب مهاجمتها لترشح الرئيس بوتفليقة للرائسة في 2004).

ويمكن القول إن كثيرا من هذه الصحف المؤثرة، هي بشكل أو بآخر وبدرجات مختلفة مناوئة للحركة الإسلامية، ما يمكن تفسيره بعوامل عديدة، منها بالطبع ما تعرض له العشرات من صحفييها من اغتيالات، والمنحى الإيديولوجي العلماني لبعضها. وقد جعلت مناوءة الحركات الإسلامية صحفا كثيرة في فترات معينة خلال

التسعينيات، لسان حال للجناح الاستئصالي المتغلب آنذاك على مركز القرار داخل السلطة، والذي كان يرمي إلى اجتثاث الحركة الإسلامية المسلحة بكل الوسائل المشروعة منها وغير المشروعة.

وبطبيعة الحال، ليس لكل الصحف المؤثرة هذه الهوية، "فالشروق" مثلا ذات حساسية عربية إسلامية بل وإسلاموية أحيانا و"الخبر" تشاركها نفس الحساسية العربية وإن تغلب عليها طوال سنوات خطابها المناهض للحركة الإسلامية الرادكالية و"لوكوتيديان دورون"، أكثر الصحف الصادرة بالفرنسية توزيعا، ليست شديدة المعارضة لسياسة النظام (مساندتها المقنعة لترشح الرئيس بوتفليقة للرئاسة في 2004 و2009) وإن كانت بعيدة عن أن تكون مجرد بوق من أبواقه.

موقف الإعلام الجزائري خلال الأزمة الجزائرية المصرية

يمكن القول إجمالا، إن موقف الإعلام الحكومي اتسم بالاعتدال والإلحاح المتواصل على ضرورة حماية العلاقات التاريخية والحاضرة مع مصر، وإن حاول طبعا مسايرة الشعور الشعبي العام واستغلال نجاحات المنتخب الوطني لكرة القدم لتلميع صورة الحكومة.

في أحلك أوقات الأزمة اكتفى هذا الإعلام بنقل البيانات الرسمية المؤكدة على ضرورة حماية الجزائريين في مصر، دون تفصيل الاعتداءات التي تعرضوا لها، ما عرضه طبعا لانتقادات كثيرة في الصحف الخاصة. صحيح أن الامتناع عن الإشارة إلى هذه الاعتداءات تصرف غير مهني إلا أنه، مهما كانت مبرراته، كان أقل ضررا من تفصيلها كما قامت به بعض الصحف الخاصة، أو اختلاقها في بعض الأحيان (زعم "الشروق" مقتل مشجعين جزائريين في القاهرة بعد مباراة 14 نوفمبر 2009).

مواقف الإعلام الخاص كانت أكثر تباينا من موقف الإعلام الحكومي كما وصفناه.لا جدل في أن كثيرا من الصحف الجزائرية الخاصة لم تتصرف بمهنية بعدم تطرقها إلى الاعتداءات التي تعرضت إليها شركات مصرية ومواطنون مصريون في الجزائر، أو ذكرها لها بصورة سريعة على سبيل الإشارة، وأنها (ونخص بالذكر "الشروق") كقريناتها المصرية، كثيرا ما تحولت إلى معرض للشتائم ضد مصر والمصريين.

وهنا أريد أن أفتح قوسين لألاحظ أن هذا الانتهاك لقواعد المهنة ليس الأول من نوعه، فبعض هذه الصحف كان فاقدا للمهنية في مواقف أخرى أيضا، كمواجهات سنوات الـ 90 بين الجيش والجماعات المسلحة (إغفال الحديث عن انتهاكات حقوق الإنسان من طرف القوات النظامية)، ويصدق القول نفسه على قسم من الجرائد المصرية فشوفينيتها ضد الجزائر لم تكن أولى هفواتها المهنية.

ولا يمنع انتشار الشوفينية في الكثير من مقالات الصحف الجزائرية خلال الأزمة من التنويه بأن بعضها نشر مقالات متزنة، تدعو إلى إطفاء نار الفتنة، ونشرت مقالات لكتاب مصريين تدعو إلى الشيء نفسه، ما ساهم وإن بقدر قليل في إعطاء فكرة مختلفة عن الرأي العام المصري وعدم اختصاره فيمن كانوا يشتمون الجزائر بعنصرية مقيتة ويستهينون برموزها – خصوصا ثورتها التحريرية– على الفضائيات وفي وسائل الإعلام المكتوبة.

بعض هذه الصحف. مثلا "الوطن" و"لو كوتيديان دوران" الصادرتان بالفرنسية، قامتا بترجمة بعض المقالات المصرية من العربية، ما كان تعبيرا عن إرادة حقيقية في تمكين أصوات مصرية غير شوفينية من الوصول إلى القارئ الجزائري.

وهنا تجدر الإشارة أن ما كانت تنقله الصحافة المصرية عن الصحافة الجزائرية نشر في الصحف التي تصدر بالعربية دون غيرها، أي أن مقالات الجرائد الصادرة بالفرنسية عن موضوع الأزمة لم تصل إلى الرأي العام المصري بسبب حاجز اللغة. هذه الملاحظة ضرورية لأن تأثير هذه الصحف الفرنكفونية على الرأي العام ليس هامشيا فأكثرها رواجا ("لوكوتيديان دوران"، "الوطن"، "ليبرتي" و"ليكبريسيان") توزع مجتمعة ما يتجاوز 700 ألف نسخة، يجب أن نضيف إليها عشرات الآلاف من النسخ توزعها صحف فرنكفونية أخرى أقل شعبية).

عن علاقة الإعلام الخاص بالسلطة

لا أود أن أخيب ظن المستمعين لكن علاقة الإعلام بالسلطة والأجهزة الأمنية في الجزائر كما في مصر، ليست علاقة المأمور بالآمر كما يخيل للبعض.

تتشابك في هذه العلاقة المصالح المادية (رغبة بعض الصحف في الحصول أو المحافظة على عائدات الإعلانات العمومية) بالمصالح السياسية والإيديولوجية إن صح التعبير، لذا نجد الصحف الخاصة التي لا تعتمد مواردها المالية على عوائد الإعلانات العمومية أكثر تحررا من غيرها في التعامل مع السياسة الحكومية، وهذا ما تبين من خلال مناهضة العديد منها لتعديل الدستور بما يتيح للرئيس بوتفليقة الترشح لعهدة رئاسية ثالثة في 2009. لكن نفس هذه الصحف المتحررة من ربقة الحكومة المادية نجدها في مواقف معينة قريبة من توجهات بعض دوائر السلطة، وذلك بدافع من قناعة إيديولوجية أو سياسية، وقد تجلى ذلك في مساندتها لسياسة الدولة ضد الحركة الإسلامية الراديكالية بالرغم مما صاحب هذه السياسة من انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان.

والسؤال، هل كانت شوفينية بعض الصحف خلال الأزمة الجزائرية المصرية مجرد إذعان لأوامر رسمية؟

كما أن الصحف متباينة التاريخ والمشارب والاتجاهات، السلطة الجزائرية كذلك ليست كتلة واحدة. صحيح أن مختلف قطاعاتها تتوحد في ظروف معينة عندما تكون مصالحها المشتركة مهددة، لكن انقسامها يأخذ أحيانا شكل حرب إعلامية (وغير إعلامية) ضارية. وقد تأكد ذلك في مواقف كثيرة، منها انقسامها حول ترشيح بوتفليقة في 2004 بين مساند له ومساند لتشرح علي بن فليس، الأمين العام لجبهة التحرير الوطني آنذاك.

كما تجلى في الانقسام حول سياسة المصالحة الوطنية (العفو عن الإسلاميين المسلحين) التي عارضتها بعض دوائرها بصورة شرسة. ويلاحظ هنا أن الصحف الخاصة تشترك أحيانا في معارك السلطة الداخلية بمساندتها لوجهة نظر هذا القسم منها أو ذاك.

من المؤكد في رأيي أن في السلطة قطاعا لا يرغب في استقرار العلاقات الجزائرية المصرية، هذا القطاع قد يعبر على نقمة قديمة على محاولة مصر في الخمسينيات والستينيات التدخل في السياسة الجزائرية، لكنه قد يعبر أيضا عن نقمة النظام الجزائري على اعتبار بعض رجال الأعمال المصريين الجزائر سوقا مفتوحة لهم لا تحكمها أية ضوابط، وقد تجلت هذه النقمة في انتقاد الرئيس بوتفليقة نفسه شركة أوراسكوم بعد أن قامت ببيع مصانعها للأسمنت دون استشارة الحكومة الجزائرية إلى الفرنسية "لافارج" في 2008.

يمكننا افتراض أن هذا القطاع في السلطة لم يحزن كثيرا لما نشر في بعض الصحف الجزائرية من شتائم استهدفت مصر، أو أنه ربما دفع بعضها إلى مهاجمة هذا البلد وحكومته، لكن الحقيقة أن الحكومة الجزائرية لم يكن بمقدورها منع الصحف من نشر ما نشرته أو التضييق عليها بسببه، خصوصا وأن الرأي العام كان مؤلبا ضد الحكومة المصرية بعد حادثة الاعتداء على الفريق الجزائري في القاهرة.

من هذا المنظور، لا أعتقد أن موقف بعض الصحف في حديثها عن مصر وشعبها (والتي يمكن مقارنتها تماما بشوفينية بعض أخواتها المصريات) ، كان مجرد إذعان لأوامر رسمية، وما يزيد في تأكيد ذلك أن الموقف الرسمي خلال الأزمة كان موقفا داعيا للتهدئة.

تدخل عوامل كثيرة في تفسير هذا الموقف، كما أن أسبابها قد تختلف باختلاف الجرائد.

لنأخذ حالة "الشروق"، وهي جريدة تنتمي إلى ما يسمى في الجزائر "التيار العربي- الإسلامي" تمييزا له عن التيار اليساري أو العلماني أو الإسلامي الصرف، وهي لا تتورع عن التهجم على التيارات السياسية التي تخالفها الرأي

(اليسار، التيار العلماني) متهمة إياها تارة بأنها "فرنكفونية" عميلة للاستعمار، أو تارة أخرى بأنها "بربرية انقسامية". كيف وصل خطابها إذن إلى هذا الدرك ؟

للإجابة على هذا السؤال، يجب أن نعرف أن هذه الجريدة كانت في صراع مع "الخبر" على ريادة الصحافة اليومية المنشورة بالعربية (والصحافة الجزائرية المكتوبة عامة) ، وقد مكنتها هذه الأزمة من زيادة مبيعاتها بشكل كبير، حيث تجاوز عدد نسخها المطبوعة المليونين في أيام قليلة بعد مباراة أم درمان (18 نوفمبر 2010)، بعد أن كان في حدود المليون في منتصف أكتوبر، وهو ما كان في حد ذاته نقلة عملاقة مقارنة بمطلع 2009، حينما لم يكن يتجاوز نصف مليون نسخة.

يجب أن نعرف كذلك أن "الشروق" أصبحت في السنتين الأخيرتين أقرب مما كانت عليه من بعض دوائر السلطة، خاصة أن هذه السطة تتأسلم يوما بعد يوم (تعمق توجهها الاجتماعي المحافظ، ازدياد مظاهر تدينها وترقية الحلف بين إخوان حركة مجتمع السلم والحزبين الحكوميين إلى تحالف رئاسي). وقد خفت حدة معارضة "الشروق" للتوجهات الحكومية، ما يمكن تفسيره أيضا بعامل اقتصادي، هو ازدياد مقروئيتها بفعل أزمة "الخبر" وعدم رغبة مالكيها في خسران المكسب المادي الذي يجنونه من هذا الازدياد.

هذا الاقتراب من السلطة تزامن في رأيي بتغلب الإحساس بالانتماء الجزائري على الإحساس بالانتماء العربي الإسلامي أو غيره في السنوات الأخيرة، ليس لدى "الشروق" وحدها، بل كذلك لدى جرائد وقطاعات سياسية وثقافية أخرى، وقد كان تعميق هذا الشعور القطري نتيجة مؤجلة للعزلة الرهيبة التي عاشتها الجزائر إبان التسعينيات على المستويين السياسي والثقافي، والتي أصّلت الاعتقاد لدى قطاعات من الشعب والمثقفين بأن "الأصدقاء" و"الأشقاء" تخلوا عنها في محنتها.

يمكن أخيرا افتراض أن موقف "الشروق" الشوفيني كان تعبيرا عن نقمة جزء من القطاع المثقف الجزائري المعرب على تعالي بعض الصحافة المصرية على الشعوب المغاربية والجزائر بشكل خاص. هذا التعالي أدى إلى رد فعل عكسي هو ازدياد الفخر بالهوية القطرية (الجزائرية) أو الإقليمية (المغاربية) وتغليبها على كل هوية عداها.

ويلاحظ تزامن شوفينية خطاب "الشروق" أحيانا بالمزايدة العروبية والإسلامية (الإلحاح على "تخلي النظام المصري" عن القضايا العربية، إلخ) وأحيانا أخرى بالافتخار بأمازيغية الجزائر، ما يعد شيئا مفاجئا في جريدة عروبية تمقت الحركة الأمازيغية مقتا شديدا. وقد رأينا مثل هذا الفخر في مقال غريب عير المصريين بأن أحد ملوك البربر القدماء، ششناق، استولى على عرش بلدهم مند 2500 سنة.

هذا عن الشروق، ماذا عن الجرائد أخرى ؟

رأينا في الصحافة الجزائرية الجزائرية الناطقة بالفرنسية من يدعو إلى قطع العلاقات لا مع مصر وحدها، بل مع المشرق كله على اعتبار أن المشرق مصدر غزو ثقافي للجزائر، فيما ذكر آخرون بأن الجزائر في الأساس أمازيغية، وأن الهوية العربية فرضت عليها فرضا بعد الاستقلال من خلال دعم عبد الناصر لـ "بن بلة" ومساندته ضد باقي مكونات الحركة الوطنية الرافضة للتدخل المصري.

وقد عبر هذه الخطاب أصدق تعبير عن انعدام الاتفاق وسط النخب السياسية والثقافية على الهوية الجزائرية كما يعرفها الدستور (عربية إسلامية) لكنها كانت في نفس الوقت رد فعل على خطاب بعض الصحف المصرية التي عيرت الجزائر بأنها "غير عربية".

اجتمعت هذه الخطابات على إحياء مسائل تاريخية عالقة تتعلق بمحاولة الاستخبارات المصرية التدخل في تسيير الثورة عن طريق **أحمد بن بلة** المقيم في القاهرة في النصف الأول من سنوات الخمسينيات، وكذلك بتفسير نشأة الحركة الإسلامية الجزائرية بالعمل الدعوي الذي قامت به بعثات المدرسين الإخوان المسلمين التي أرسلها عبد الناصر إلى الجزائر بعد استقلالها لمساعدتها على التعريب، ولكن أيضا تخلصًا من هؤلاء الخصوم بإبعادهم عن مصر.

وبعبارة أخرى، فإن مصر صورت على أنها سبب مشاكل الجزائر، فمحاولة عبد الناصر التدخل في مصير الثورة أفضى إلى تغلب التيار العروبي الإسلامي على قيادتها وتهميش التيار الجمهوري (العلماني نسبيا) فيها، ونشوء الحركة الإسلامية في الجزائر لا يفسر بأي عامل داخلي، فقط بالتدخل الأجنبي. مثل هذه الأطروحات وإن بنيت على أحداث صحيحة نسبيا، فإن ما تخلص إليه من تأويلات يبتسر ابتسارا مخلا، مسائل سياسية معقدة كالصراعات داخل جبهة التحرير الوطني، أو العوامل التي ساهمت في ولادة الحركة الإسلامية الجزائرية.

هل كان ما جرى مؤامرة فرنكفونية ؟

بالنظر إل الدور الذي لعبته الصحافة المعربة في هذه الأزمة وحدّة خطابها ضد مصر، من الصعب أن نشارك الكاتب الجزائري عثمان سعدي قوله إن المسؤولين عن الأزمة في الجزائر هم الفرنكفونيون.

وهنا أغتنم الفرصة للرد على بعض "الكليشيهات" الرائجة في مصر عن "فرنكفونية" الجزائر والجزائريين.

صحيح أن في الجزائر قطاعات كثيرة رافضة للتعريب، تقول بعدم ضرورته أو عدم شرعيته، لكن من الاستسهال عدم التفريق بين رافضي التعريب بزعم عدم ضروريته ورافضيه من الناطقين بالأمازيغية، لأنه يهدد بالقضاء على لغتهم قضاء مبرما. من الاستسهال كذلك عدم التفريق بين "الفرنكوفيل" (الموالين لفرسا والمطالبين باستمرار وجود اللغة الفرنسية في الجزائر) وبين "الفرنكفونيين"، ممن تعد الفرنسية لغة عملهم أو دراستهم بحكم ظروف تاريخية وشخصية معينة والذين يشاركون معظم الجزائريين فخرهم بالثورة التحريرية.

لذا من الصعب أن نقول عن كل الفرنكفونيين وعن الصحافة الجزائرية الناطقة بالفرنسية إنهم موالون لفرنسا وللاستعمار، فعدم الإيمان بالقومية العربية لا يعني عدم الاعتراف بوجود علاقات تاريخية ونضالية بين الجزائر والمشرق العربي، يعني فقط بناء العلاقات مع هذه المنطقة على أساس احترام الهوية القطرية الجزائرية التي ساهمت في تكوينها ثورة تحريره من أشرس الثورات في التاريخ. نذكر بما يلي :

- كثير من دعاة العربية والإسلام خلال الاستعمار لم يكونوا من دعاة الاستقلال، وكان موقفهم من الاستعمار الثقافي أكثر راديكالية من موقفهم من الاستعمار الاقتصادي والاستيطان، فمناضلو الاستقلال تكونوا أساس في حزب الشعب الجزائري، وكان معظمهم بحكم الظروف التاريخية والقهر الذي كانت تتعرض إليه اللغة العربية، متعلمين بالفرنسية.

- معظم الجرائد الفرانكفونية دافعت عن مطلب اعتذار فرنسا عن جرائم الفترة الاستعمارية، وتابعت أولا بأول النقاش الذي احتدم في هذا البد منذ سنة 2000 عن هذه الفترة. وقد قامت في هذا الإطار بنشر العديد من شهادات مناضلي جبهة التحرير ممن كانوا ضحايا لوحشية الجيش الفرنسي، وهي تحفل بالمقالات الجدالية الرافضة لمشاريع المصالحة الجزائرية الفرنسية المبنية على طي صفحة الماضي بحجة تساوي العنف الاستعماري مع "عنف جبهة التحرير".

- هذه الجرائد، بالرغم من نشرها مقالات معادية لمصر والمصريين، نشرت أيضا بعض المساهمات التي تلح على تاريخ النضال المشترك بين مصر والجزائر (جزء من المثقفين الجزائريين لا يرى العلاقات مع مصر من وجهة نظر الانتماء العربي أو الإسلامي، لكن من وجهة نظر وحدة المصير ومناهضة الإمبريالية، وكذلك النضال المشترك خلال ثورة التحرير وحربي الاستنزاف وأكتوبر).

خلاصة

كما في مصر، وظفت الأزمة سياسيا في الجزائر، وكما في مصر، كشفت عن انعدام إجماع وطني على الهوية الرسمية العربية الإسلامية المقررة في الدستور، على الأقل داخل النخب المؤثرة، خصوصا منها النخب الإعلامية.

وبالأخص كشفت الأزمة عن وضعية مهنية يرثى لها، بعض عناصر هذه الوضعية مشترك ين كل وسائل الإعلام في العالم كله، ومنها تحويل الرياضة إلى مهرجان ممسرح دائم وتغليب التعليق الرياضي، خصوصا في القنوات التلفزيونية، على الخبر الصحفي بالمعنى الدقيق للكلمة، ويكفي الرجوع إلى ما نشر في الصحافة الجزائرية خلال هذه الأحداث المؤسفة لنرى أن حجم الأخبار (بغض النظر عن كونها محققة أم لا) صغير جدا مقارنة بحجم التعليقات عليها. وبالطبع يمكن أن نقول الشيء نفسه عن كثير من الصحف ووسائل الإعلام المصرية، والتي لاحظنا في حديثها عن الأزمة الجزائرية المصرية ارتداد حجم الخبر أمام التعليقات ومقالات الرأي.

في كثير من الأحيان، لاحظنا في الأخبار القليلة الموردة عدم تدقيقها والاكتفاء بمصدر واحد لها، وأحيانا إيرادها من دون ذكر مصدرها أصلا. وقد كان لعدم تدقيق الأخبار نتائج كارثية. يكفي أن نذكر بأن نشر "الشروق" لخبر غير صحيح عن مقتل مشجعين جزائريين في مصر كان السبب الرئيس وراء الهجمات التي تعرضت لها المصالح المصرية في الجزائر.

هذه الأخطاء المهنية كشفت الحاجة إلى شيئين اثنين :

1. ضرورة تأهيل الكثير من الصحفيين، وتفعيل القاعدة المهنية القائلة بتمييز الخبر عن التعليق.
2. ضرورة انتخاب مجلس أخلاقيات مهنة الصحافة، يقوم برصد ما ينشر في وسائل الإعلام وكشف ما يرتكب فيه من أخطاء لتجنيب الوقوع فيها مستقبلا.

الإعلام وأزمة مباراة مصر والجزائر

تقرير الجلسة الثانية من الندوة إعداد: على حسن– منتدى البدائل العربي

تم فيها عرض وتحليل التناول الإعلامي – والرياضي بشكل خاص للأزمة، ودوره المحوري في تأجيجها وربما افتعالها من الأساس، بالإضافة إلى بعده عن المعايير الإعلامية المتعارف عليها في النقل، والتوثق من المعلومات والمصادر، والمهنية التي كانت غائبة من بداية الأزمة إلى نهايتها، مع طرح لمعايير وأسس لإعلام مهني ومستقل، وكيف يمكن تطويرها لتواكب التنوع الإعلامي المكتوب والمرئي.
وقد دارت النقاشات في الجلسة حول عدة محاور:

الأول حول وضعية الإعلام الخاص العربي وعلاقته بالدولة أو الحكومة.
الثاني حول طبيعة الإعلام الجزائري وكيفية تعامله بأنماطه المختلفة مع الأزمة، وأخيرا مهنية وأداء الإعلام المصري و انعكاساته على المجتمع خلال الأزمة.

تناول المحور الأول عدة نقاط ربما من أهمها مسئولية النظم العربية عما حدث في الأزمة، حيث أن تلك الأنظمة في غالبها فاقدة لشرعية الإنجاز داخلها، من ارتفاع لمعدلات البطالة وانتشار الفساد في قطاعات الدولة، وتراجع معدلات التنمية وغياب المشروع القومي الذي يلتف الشعب حوله، وبالتالي وجدت تلك الأنظمة ضالتها في مباريات كرة القدم، وجعلت رعاية المنتخب القومي لكرة القدم هو المشروع القومي، وحولت ما يحققه المنتخب من فوز في مباراة إلى انتصار قومي، ونوع من أنواع الإنجازات التي حققتها النظم السياسية في تلك الدول، وكوسيلة لإلهاء الناس عن مشاكلهم الحقيقية التي يعانون منها، أيضا وقد كشفت تلك الأزمة عن الخلافات وتبادل الاتهامات داخل النظام السياسي الواحد، كما رأينا بين سفير مصر في الجزائر واتهامه النظام السياسي المصري بالتقصير في التعامل مع الأزمة.

طرحت الجلسة كذلك فكرة استقلالية الإعلام الخاص، وكيف أن وسائل الإعلام الخاصة في البلدين يملكها عدد قليل من الأفراد ربما يصبغون القناة برؤاهم الشخصية، أو تربطهم مصالح بالدولة مثل تصريح وزير الإعلام المصري عن دور الدولة في توجيه الإعلام الخاص. وكيف أن استقلالية الإعلام لا تختبر في الأحداث العادية

اليومية ، وإنما تختبر عند الأزمات، فربما تقوم تلك القنوات والبرامج المحسوبة على المعارضة وتتبع بؤر الفساد في الدولة باتهام النظم السياسية في بلادها وإظهار عوارها في الأوقات العادية، ولكن عند نشوب أزمة حقيقية يصطدم فيها توجه النظام السياسي بالرأي العام، تظهر تلك البرامج والقنوات وجهها الحقيقي، وقد ضربت عدة أمثلة حول تعامل تلك القنوات الخاصة مع أزمات مثل الحرب على غزة أو تنظيم حزب الله وأخيرا مباراة مصر والجزائر ، والفرق بين هذه الوضعية والأزمة بين قناة بي بي سي وبين رئيس الوزراء البريطاني توني بلير حول تغطية القناة للحرب على العراق، ثم تم التطرق إلى نقطة في غاية الأهمية تتعلق بالمهنية الإعلامية، وكيف أن مقدمي البرامج والذين أصبحوا قادة للرأي العام بين عشية وضحاها، لم يتلقوا أي نوع من التدريب على القيام بتلك المهمة، على عكس ما يحدث في المؤسسات الصحفية والإعلامية المحترمة، وكيف أنهم لم يراعوا أن التلفاز ليس كغيره من وسائل الإعلام الأخرى كالسينما أو المسرح ، فقد أصبح وسيلة إعلامية إجبارية تذهب للمشاهد في بيته، وليس للمتلقي انتقاء واختيار الذهاب إليها من عدمه، وبالتالي لم يتورع هؤلاء الإعلاميون غير المدربين من استخدام العديد من العبارات الخادشة للحياء وتناول بعض المواضيع بأساليب متدنية أخلاقيا ومهنيا.

أما المحور الثاني فقد كان تركيزه على الإعلام الجزائري تحديدا وتقسيماته المختلفة ودور كل منها في التفاعل مع الأزمة وتأجيجها ، فالجزائر بها ثلاث قنوات تليفزيونية وأربع إذاعية وكلها حكومية، ويتكون الإعلام الحكومي المكتوب من جرائد يومية بعضها بالعربية وبعضها الآخر بالفرنسية، هذه اليوميات والدوريات غير واسعة المقروئية، لكن العوائد المالية لمعظمها كبيرة بحكم أن الشركات والمؤسسات العامة، تطبيقا لتوجيهات حكومية صريحة، تنشر إعلاناتها فيها دون غيرها من الجرائد الخاصة واسعة المقروئية.

والصحف الخاصة في الجزائر واسعة المقروئية بشكل كبير، وهي الفاعل الرئيسي في التأثير على الرأي العام الجزائري ، سواء ما كتب منها بالعربية أو الفرنسية، وكيف أن الإعلام الحكومي الرسمي – سواء المرئي والمسموع أو المقروء – تعامل مع الأزمة بشيء من الاعتدال على عكس العادة ، وكيف كان خطابه تصالحيا ويتسم بالتهدئة وعدم التصعيد.

ثم يأتي دور الإعلام الخاص وكيف أنه من قبل الأزمة ومن خلال تناوله العديد من الأزمات السابقة، مثل الأزمة التي نشبت بين الجيش والجماعات المسلحة، وكيف تغاضى عن انتهاكات حقوق الإنسان التي قام بها الجيش تجاه بعض العناصر، أيضا تناول غياب المهنية بشكل عام في الإعلام الجزائري بشكل عام من حيث عدم

التحقيق والتدقيق في الخبر ومصادره، أيضا تغليب إعلام التعليق والرأي والإشاعة على الخبر، لتتحول الأزمة إلى أن الجزائريين يتخيلون مصر، والمصريون يتخيلون الجزائر في غياب للحقائق، والجاني هو الإعلام غير المهني.
كما أن بعض الصحف الخاصة تتبع وتلتزم بالخط الحكومي رغبة منها بالحصول على نصيب أكبر من الإعلانات التي تتحكم بها الدولة، أيضا تأثر العديد من الصحف الجزائرية بالأحلاف الأيديولوجية على حساب الحيادية والمهنية الصحافية، وقد تجلى ذلك في أزمة النظام السياسي مع جبهة الإنقاذ، وانحيازه ضد جبهة الإنقاذ، وقد تعرض النقاش للبعد الاقتصادي وتأثيره على الأزمة، وضرب مثلا بجريدة الشروق "المتهم الأول في الجريمة" بأن أعداد النسخ المبيعة تضاعفت ثلاث مرات أثناء الأزمة.

وهنا يطرح استفهام، فجريدة الشروق جريدة محسوبة على أنها جريدة عروبية وربما إسلامية، وكيف أن بعض الصحف الصادرة بالفرنسية كانت بها أصوات أكثر عقلانية وتصالحية، من خلال ترجمتها لبعض المقالات المصرية المنتقدة للدور الإعلامي المصري، وذلك على عكس ما شاع من أن الأزمة كان وراءها الفرانكفونيون في الجزائر، وهنا تم لفت النظر لغياب دور مجلس أخلاقيات المهنة الذي تم إنشاؤه منذ سنوات، وميثاق الشرف الصحفي الجزائري، وكلاهما ليس له أي دور، وغير مفعل بالمرة من قبل السلطات الجزائرية.
وأخيرا تعرض لقضية إحدى الشركات المصرية الكبرى العاملة في الجزائر، والتي أظهرت نفسها كضحية في الأزمة، وكيف أن تلك الشركة كانت الراعي الرسمي للمنتخب الجزائري لمدة سبع سنوات وأنها اقترحت قبل الأزمة بتحمل تكاليف سفر 10000 مشجع جزائري للسودان، وأن مشاكلها الضريبية مع الدولة الجزائرية كانت موجودة قبل الأزمة بشهور في تأكيد أن هذه النوعية من الشركات تبحث عن الدعاية لنفسها من أجل الربح، ولا يجب أن ننقاد ورآها في مثل هذه الأزمات.

أما المحور الثالث فتناول فيه نقطتين أساسيتين، أولها أنه برغم السلبيات الكثيرة التي غطت الأزمة بين مصر والجزائر، هناك بعض المظاهر التي ربما نعتبرها إيجابيات وهي فكرة العَلَم ، وكيف أن المصريين ظهر التفافهم حول العلم بشكل واضح، بعد غياب دام لسنوات، وقد شهدت تلك الظاهرة خلافا في تفسيرها كإيجابية، وذلك لاستخدام البعض العلم كوسيلة للتكسب والدعاية الاقتصادية، وأنه رغم التفاف المصريين حول العلم في مظهر من مظاهر القضاء على الاحتقان الطبقي والطائفي، لم يمنع ذلك من وقوع حادثة طائفية كحادثة نجع حمادي.
ثم من الإيجابيات التي ظهرت أيضا الإنجاز الرياضي الذي تحقق في ظل العديد من الإخفاقات في قطاعات أخرى، وهو إنجاز له أهميته ودلالاته، وفكرة أن كرة القدم لها قواعد واضحة وشفافة، فكل شيء مراقب والحكم

يفترض فيه النزاهة، مع غياب تلك المميزات في الحياة السياسية، أيضا فكرة المدرب الوطني وإظهار كفاءته، والتخلي عن عقدة النقص، والشعور بعدم القدرة على تحقيق النجاح.

ومن ضمن الإيجابيات الحديث المتكرر عن حماية مواطنينا، لتقوم القيادة السياسية في مصر على غير العادة بمجاراة الرأي العام بالتصريح بأن كرامة مصر من كرامة المصريين، على الرغم من إمكانية كونها شعارات جوفاء، ولكنها لم تكن مطروحة في الماضي ، وذلك دليل على أنه ليس صحيحا عدم تأثر النظام السياسي في مصر بتوجهات الرأي العام. ولكن هذه الإيجابيات لا تنفي غياب المهنية الإعلامية في مصر، وعدم التحقق من المعلومة والخبر بل والقيام ببعض الأدوار التحريضية ضد جزائريين موجودين في مصر، ومحاولة تزييف الحقائق لحساب ما يعتقده سبقا صحفيا، وهو في الحقيقة غياب للمهنية بل وارتكاب جرائم يعاقب عليها القانون، وكيف أن الإعلام لو قام بدوره بإظهار الحقائق كما هي، ليس مهما في صالح من أو ضد من أو المصلحة المتحققة من ورائها ، لما حدث ما حدث في أم درمان، ولتوقع المشجعون المسافرون ما ينتظرهم هناك، بدلا من الانشغال بسب الطرف الآخر، وسيطرة نظرية المؤامرة والشعور بالاضطهاد، وتسفيه كل القيم العليا والوطنية لدى الطرف الآخر، وكيف أن قيام الإعلام المصري بتحويل حادثة الاعتداء على الأتوبيس الجزائري في مصر بأنه غير صحيح وأن الجزائريين هم من فعلوا ذلك بأنفسهم، وإغفال ذكر حوادث الاعتداء على بعض الجزائريين في مصر، كان نقطة تحول ورد فعل عكسي على تطور الأزمة بشكل عام.

ومن خلال المحاور الثلاثة يمكننا التأكيد أن هناك العديد من المقولات التي تحتاج إلى إعادة نظر حول استقلالية ومهنية الإعلام العربي بشكل عام، والمصري والجزائري بشكل خاص، ومدى انفصاله عن النظم القائمة والمصالح الخاصة السائدة، ناهينك عن موضوع الكفاءة والمهنية التي تحتاج إلى مراجعة شاملة.

شهادات ورؤى

تقرير الجلسة الثالثة إعداد: على حسن– منتدى البدائل العربي

طرحت في هذه الجلسة كيف يمكن للتناول الإعلامي لحدث التأثير في الحياة اليومية للأشخاص العاديين، وذلك من خلال عرض لنماذج واقعية، والاستماع لبعض الشهادات التي تعكس حالات واضحة من تأثر المواطن العادي بما جرى في هذه الأزمة

وقد بدأ الحديث بقيام رجل الأعمال المصري بعرض تجربته، حيث ذكر أنه قام بتأسيس شركة في الجزائر منذ أربعة سنوات مضت ، وقد أنهى عمله هناك منذ شهور ولم تكن للأزمة علاقة بإنهاء العمل، وقد ذكر كيف أن الأربع سنوات كانت من أفضل فترات عمله، حيث لم يواجه أي مشاكل أو صعوبات، إدارية أو في التعامل مع العاملين في الشركة والذين هم جزائريون.

بل قد يواجه من الصعوبات سواء في ممارسة نشاط شركته أو من خلال التعامل مع العاملين في مصر أكثر بكثير منها في الجزائر. وتحدث عن أن المزاج والتركيبة النفسية والاجتماعية الجزائرية مختلفة تماما عن التركيبة المصرية، حيث لاحظ غياب الطبقية بشكل كبير في الجزائر، حتى الأغنياء لا ترى لهم أي مظهر من التعالي أو التكبر، على عكس المجتمع المصري، أيضا لاحظ أن الجزائريين مباشرون بشكل عام، ولا يعرفون الطرق الملتوية أو إظهار عكس ما يبطنون، ويتسمون أيضا بحدة في الطباع، ربما من لا يتفهمها يقع في العديد من المشاكل، أيضا يختلفون عن المصريين بأنهم على درجة أقل من الانفتاح على الغير وليس من السهل أن يصحبك إلى بيته أو يبوح لك بأسراره بسهولة ، على عكس المصريين، وكيف أنه خلال الأربع سنوات لم يواجه تقريبا مشكلة واحدة أو شعورا بالكراهية والتهكم كونه مصريا، ولكن مع نشوب الأزمة تحولت الأمور على عكس ما كان موجودا، وقد ساعده في التعرف على ذلك من خلال أصدقائه الذين ظلوا يعملون في الجزائر بعد ذلك ، ومن تعرضهم لمضايقات شديدة هناك.

ثم انتقل الحديث بعد ذلك للأستاذة سُليمى رحال وهي جزائرية متزوجة من مصري ومقيمة في مصر، وقد ذكرت أيضا ما قاله أ.هشام قبل الأزمة، من أن الأحوال كانت طبيعية تماما ولم تشعر بأي فرق بين مصر وبين بلدها الجزائر، إلى أن بدأت الأزمة في الاشتعال، وكانت تتابع الإعلام بشكل متواصل، إلى أن منعها ذلك من الخوف

من النزول إلى الشارع أو النظر من شرفة بيتها خوفا من تعرضها للاعتداء، لدرجة أنها رفضت الحديث في الهاتف مع أي من صديقاتها المصريات خوفا من أن يتطرق الحديث إلى الأزمة فتسمع لفظا أو اتهاما يجرحها ويخرجها من شعورها، وتصور الأستاذة سليمى الحالة النفسية السيئة التي مرت بها وكيف أنها كانت تقشعر بدنا وتتألم غاية الألم عندما تشاهد الإعلام المصري يطعن في ثورة الجزائر ويسميها ثورة المليون لقيط، أو أن يطعن في عروبة الجزائر في محاولة للمزايدة أو المعايرة، وأنها فكرت جديا في مقاضاة أولئك الإعلاميين والذين تبنوا خطابا تحريضيا صريحا ضد الشعب الجزائري، وتقول أيضا إن تلك الأحداث خلقت حاجزا بينها وبين المصريين، من الممكن تجاوزه مستقبلا لكن في الوقت الحاضر لا يمكن نفيه، وذكرت أن مكمن الخطورة هو من تحول تلك التصورات والأكاذيب التي كان يبثها الإعلام إلى صور نمطية لدى كلا الشعبين تجاه الآخر.

وقد اختتمت الجلسة بالحديث عن تجربة لبعض الشباب المصري وكان يمثلهم في الجلسة أ. عمرو مجدي، والذي شارك في تأسيس مجموعة "Group" بعنوان "الأقصى يجمعنا"على الفيس بوك قبل افتعال الأزمة لما كان متوقعا من لغة التصعيد الإعلامي والخطاب العدائي في كلا الجانبين، والذي لم يكن يبشر بخير، وقد كان هدف المجموعة هو نزع فتيل الأزمة وإظهار العوامل المشتركة التي تجمع الشعبين أكثر من التي تفرقهم، وأن هناك قضايا مشتركة مطلوب مواجهتها مجتمعين، وأنها أكثر أهمية من مباراة لكرة القدم ، وقد اختاروا الأقصى رمزا لكل ذلك ، واقترحوا فكرة على المنضمين للمجموعة والذين بلغوا حوالي 5000 عضو في ثلاثة أيام فقط من جنسيات عربية مختلفة، أن يقوم مجموعة من المشجعين المصريين والجزائريين أثناء المباراة برفع صورة المسجد الأقصى كدليل على فكرة المجموعة، وكان الجميع قبل الأزمة مرحبا بالفكرة، والمشاركات كانت أجواؤها تصالحية، حتى حدثت حادثة الاعتداء على الأتوبيس الجزائري في مصر والتي مثلت نقطة تحول، ليتبنى المشاركون لهجة مختلفة، ويتبادلون الاتهامات بل والإهانات، مما اضطر القائمين على المجموعة بإغلاق المشاركة بالتعليق لفترة مؤقتة حتى تهدأ الأجواء، ووجهوا نداء للأعضاء بعدم تصديق كل ما يبثه الإعلام، والذي يحتوي على كثير من الأكاذيب، ثم فكروا بعد ذلك بكتابة بيان تصالحي والاتصال بالعديد من المثقفين للتوقيع عليه، والذي لاقى ترحيبا شديدا من العديد من المثقفين، مما جعل بعضهم يطلب وضع اسمه دون معرفة مضمونه مكتفيا بأهدافه النبيلة، ثم ذكر بعد ذلك أن مجموعتهم لم تكن الوحيدة على الفيس بوك والتي أنشئت لهذا الغرض، ولكنهم كان الأكثر شهرة، وبالتالي فكروا بإنشاء لجنة تنسيقية بين كل المجموعات التي أنشئت لنفس الهدف ، وذلك لتوحيد الجهود المبذولة في نفس الاتجاه، ثم أكد في مشاركته على دور القانون والقضاء في الأزمة، بحيث من تعرض لحادثة اعتداء سواء لنفسه أو ممتلكاته فليس أمامه إلا القضاء، مبتعدا عن التضخيم

الإعلامي البعيد عن المهنية وعدم المصداقية، فالقضاء لا يعترف إلى بالدليل والقرينة ، وبالتالي تظهر الحقائق بشكل أفضل.